

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة -

كلية الآداب واللغات

قسما لآداب واللغة العربية



روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام -مقاربة تداولية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: علوم اللسان العربي

إشراف الدكتورة:

دليلة مزوز

إعداد الطالبة:

رزيقة زوييري

السنة الجامعية:

1435 - 1436 هـ

2014 - 2015 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ

قال تعالى:

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ

عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

النساء الآية 165.

شكر و عرفان

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

النمل الآية 19

في البداية نشكر الله تعالى ونحمده على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل الذي نتمنى أن يكون من صالح الأعمال، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الوالدين الكريمين الذين نتمنى أن يحفظهما الله برعايته وحفظه.

كما نشكر الأستاذة الفاضلة الدكتورة مزوز دليلة التي لم تبخل علينا بمجهوداتها طوال السنة الجامعية لانجاز هذا البحث بتوجيهاتها ونصائحها التي كان لها دور كبير في إنجازه وتوضيح معالمه.

مقدمة

نزل القرآن الكريم وحيا على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ليخاطب العرب أولاً، ثم الانسانية في كل زمان ومكان، فهو خطاب وجداني وعقلي في آن واحد، حيث خاطب النفس البشرية وحرك فيها ما جُبل به من دوافع الخير في صراعها مع الشر، كما خاطب العقل البشري لإقناعه بقضايا فكرية تحتاج إلى أدلة لقبولها والايمان بها، لذلك عدّ القرآن الكريم نصا حجاجيا بامتياز، نظرا لما تضمنه منهجه من تنوع في أساليب الإقناع والمحاورة وتقديم الحجة وطرق عرضه لها تبعا لخصائص المتلقين من جهة، ومقام الخطاب من جهة أخرى، مبتعدا في ذلك عن منهج الاكراه والعنف و هو المنهج الذي اتّبعه جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في الدعوة الى دين الله وتوحيده.

ولقد كان القرآن الكريم منذ القديم محل اهتمام الدارسين للبحث فيه ببيان إعجاز ألفاظه ومعانيه سواء تعلق الأمر بالجانب البلاغي أم فيما يتعلق بالحقائق الكونية أم العقائدية، كما تناوله الباحثون المحدثون بالدراسة والتحليل، إذ وجدوا فيه مجالا خصباللعديد من الدراسات ونصا صالحا لتطبيق العديد من المناهج الحديثة باعتباره نصا صالحا لكل مكان وزمان، ولعل من أبرز الموضوعات التي برزت في الدرس اللغوي الحديث، ونالت اهتمام العديد من الباحثين المحدثين موضوع الحجاج، هذا الأخير الذي تختلف ثناياه ومقوماته من مجال إلى آخر (سياسي، لغوي، فلسفي... الخ) ونحن من

خلال بحثنا هذا سنحاول تخصيص موضوعه على الحجاج القرآني، وهذا من خلال تطرقنا لصورة من صور الحجاج الذي ورد فيه، وهو حجاج موسى عليه السلام، الذي ورد في العديد من سور الذكر الحكيم على اعتبار أن قصة موسى عليه السلام تعد من أكثر قصص القرآن الكريم تكرارا لما فيها من الحجة والبيان للأمم والأقوام، وليكون ما أقامه موسى عليه السلام حجة على من أنكروا وحدانية الله عز وجل، فقد استحوذت قصص سيدنا موسى عليه السلام على الجزء الأكبر من القصص القرآني، حيث تصل نسبة تواتره في الكتاب الحكيم إلى ما يقارب الستين بالمائة 60% من مجمل القصص القرآنية وهذا يعود إلى ما أقامه الكليم من الحجاج والمحاورة في سبيل الدعوة إلى دين الله، وتنوع المقامات وتعدد الأطراف التي قام بحجاجها طوال مدة تبليغ رسالته الربانية.

وبناء على ما تقدم ذكره نطرح التساؤل الآتي: ماهي روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام؟ وما دورها في إثراء عملية الإقناع والتأثير في مقاماتها الأدائية؟ ولقد كان اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم ب«روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام» بهدف اكتشاف بعض أساليب الإقناع في الخطاب القرآني، إضافة إلى أسباب تخص لغة القرآن الكريم ذاته التي تمنح نظرية الحجاج في القرآن الكريم طابعا لغويا خاصا ومميّزا، و بالاضافة إلى ما أختص به القرآن الكريم من أسباب النزول إذ نزل بهدف الإقناع والتأثير في المشركين لينقادوا إلى دين الله عن حب وإيمان.

إن الهدف من البحث هو الإجابة عن إشكاليته وذلك بالوقوف على مختلف أساليب وروافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام التي تشكل في مجموعها منهج العقيدة الإسلامية التي دعا إليها القرآن الكريم للإصلاح باتباع منهج خال من شائبة العنف والاكراه، ، وللوقوف على هذه الروافد والأساليب اعتمدنا على المنهج التداولي لأنه من أفضل المناهج التي تعنى بإبراز العلاقة بين طرفي الخطاب أثناء عملية الحجاج في مقاماتها وذلك من خلال اتباع خطة بحث تضمنت مقدمة ومدخل وكذلك فصلين وخاتمة، ولقد جاءت هذه العناصر مفصلة على النحو الآتي: مدخل بعنوان مفاهيم أولية تم فيه التعريف بمصطلحات البحث (الروافد، الحجاج، الخطاب لغة واصطلاحاً)، يليه عنصر آخر تمّ فيه إبراز العلاقة بين الخطاب والحجاج، أما الفصل الأول الموسوم بالحجاج أنواعه وخصائصه فقد احتوى على ستة عناصر كان أولها الفرق بين الحجاج والبرهان والجدل، يليه أركان الحجاج، أما ثالث هذه العناصر فكان حول أنواع الحجج، ليكون العنصر الرابع من هذا الفصل حول أنواع الحجاج، أما الخامس فكان حول العلاقات الحجاجية، أما خاتمة عناصر هذا الفصل فكان حول خصائص النص الحجاجي، أما الفصل الثاني: روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام فكان مقسماً إلى مستويين، المستوى اللغوي، ومستوى المقام، فالمستوى اللغوي تم فيه دراسة مختلف الآليات والروافد اللغوية التي وردت في خطابات موسى عليه السلام من روابط حجاجية وكذلك التأكيد والتكرار وأفعال الكلام من أمر، واستفهام ونداء، أما مستوى المقام فتم فيه تركيز البحث على آلية التدرج من مستوى المحاجة القولية إلى الأداء الفعلي للمعجزات الحسية

والتفصيل في هذه العلامات الحجاجية من خلال تقسيمها إلى قسمين، قسم خاص بالمعجزات الموجهة إلى قوم موسى عليه السلام وقسم ثان موجه إلى فرعون وملئه لتكون بذلك آخر عناصر هذا البحث الخاتمة التي تم التركيز فيها على أهم النتائج المستنبطة من البحث ألا وهي حصر مختلف روافد الحجاج من خطابات موسى عليه السلام.

ولقد اعتمدنا للبحث في موضوع الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في جمع المادة المتعلقة بموضوع البحث وتحليل عناصره أهمها: تفسير التحرير والتتوير لمحمد الطاهرين عاشور وكذلك التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي والكشاف للزمخشري، وكذلك كتاب الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه لسامية الدريدي، وكذلك كتاب البعد الحجاجي والتداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل لقدور عمران كما تم الاعتماد أيضا على كتاب استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظاهر الشهري. وفي الأخير نتمنى أن يكون هذا العمل من صالح الأعمال وأن يوفقنا الله عز وجل في إنجازه وأن يكون من الأعمال المفيدة.

مدخل

مفاهيم أولية

1. تعريف الرافد.

2. تعريف الحجاج.

3. تعريف الخطاب.

4. العلاقة بين الخطاب والحجاج

1-تعريف الرافد:

1-1-لغة:

لقد ورد مصطلح الرّافد في العديد من المعاجم اللّغويّة التي فصلت في معناه ومن بين هذه التعريفات ما جاء في قاموس "تاج العروس": «الرافد من الرّفد بالفتح، مصدر رفده، يرفده، رفدا من حدّ ضرب: أعطاه، والإرفاد: الإعانة والإعطاء، وقد رفده وأرفده: أعانه والاسم منها الرّفد. والإرفاد أن تجعل للدّابة رفاة، قاله الرّجاج: كالرّفد بالفتح، رفدت على البعير أرفد عليه رفا، إذا جعلت له رفاة، وهي دعامة السّرج والرّحل وغيرهما، والرّوافد خشب السقف، والرّافدة فاعلة من الرّفد وهو الإعانة، يقال رفدته: أعنته» (1).

ووما تقدم يمكن القول إن الرافد في اللغة لفظ يعبر عن العطاء والإعانة والدّعامة، وهذا المعنى أيضا قد تضمّنه التّعريف الذي ورد في قاموس "المحيط المحيط" إذ جاء فيه: «رفده، يرفده رفا: أعطاه وأعانه بعطاء أو قول أو غير ذلك...ورفده سوّده أي جعله سيّدا وعظّمه، يقال رافده، مرافدة: عاونه... والرّافد اسم فاعل، والرّافدة: مؤنث الرّافد والجمع روافد، والرّوافد أيضا خشب السّفف، وفي سورة هود قال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَدْيِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بئس

الرّفدُ المرفُودُ ﴿١١﴾ (2) « (3)

(1) مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (رفد)، تحقيق على شنييري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، 1994، مج4، ص 459-460.

(2) هود، الآية 99.

(3) المعلّم بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة (رفد)، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، (دط)، 1998، ص 343.

1-2 إصطلاحا:

لقد عني مصطلح الرافد من الناحية الاصطلاحية بتعريفات متعددة ومتنوعة نذكر من بينها:

«يُقصد بروافد الحجاج مختلف الاستراتيجيات أو الفنّيات التي يعمد إليها المتكلم للإقناع أو الحمل على الإذعان، وهي عملية تنظيم عملي يُخضع لها المتكلم خطابه راصدا بواسطتها وسائل مختلفة لخدمة غايات معيّنة، فتكون تبعاً لذلك عملية واعية خطّط لها المتكلم بشكل دقيق وباختيار موجّه، تحكّمه نتائج الخطاب وغاياته الحجاجية»⁽¹⁾

«إذ يعتمد الحجاج بالخطاب الطبيعي على تقنيّات مخصوصة لا تختص بمجال آخر غيره، فهي مطاوعة حسب استعمال المخاطب لها، الذي يختار حججه وطريقة بناءها بما يتناسب مع السّياق الذي يحيط بخطابه»⁽²⁾

فهذه التقنيّات أو الروافد تتنوع وتختلف وظائفها حسب المقاصد المسطرة لها والسياقات المدرجة فيها، وكذلك طبيعة الحجّة، وخصائص المتلقين للخطاب الحجاجي، ومن هذه التقنيّات نذكر:

1/ الروافد (التقنيّات) اللغوية:

تتمثل في الأدوات اللغوية التي تعتبر بمثابة قوالب لها أدوارها التي تنظّم العلاقات بين الحجج والنتائج، وتُعين المخاطب على تقديم حججه بالطريقة التي تتناسب مع السّياق، ومن بينها نذكر:

(1) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنبيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص 87.

(2) حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 79.

أ- استعمال الروابط والعوامل الحجاجية مثل (لكن و حتى و أدوات العطف و الظروف و بل ...)

ب - «الأدوات اللغوية الصرفة مثل: ألفاظ التعليل بما فيها الوصل السببي والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية... الخ، وكذلك الاستفهام والوصف الذي يشتمل على عدد من الأدوات اللغوية منها: الصفة واسم الفاعل واسم المفعول»⁽¹⁾.

2/مراعاة المقام: لما للمقام من أهمية بالغة في العملية الحجاجية، سواء من خلال ادراج نوع الحجّة أو مراعاة حال السامع وخصائصه النفسية، أي مراعاة كل ما يحيط بظروف القول وملابساته.

3/ التكرار: حيث يلعب التكرار دورا مهما في عملية الحجاج لما له من أهمية في التأثير على السامع، وجلب انتباهه بإعطاء الأهمية لموضوع الحجاج، والحجج التي يقدمها الشخص المحاجج.

4/ المستوى البلاغي: مثل الاستعارة، البديع، التمثيل.

2- تعريف الحجاج: Argumentation

2-1- لغة:

ورد لفظ الحجاج في العديد من المعاجم العربية، و من بينها أساس البلاغة للزمخشري إذ ورد فيه لفظ الحجاج في قوله: «احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهباء، وحجج خصمه، فحجّه، وفلان خصمه محجوج»⁽²⁾.

(1) ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة المعاصرة، ص 79.
(2) الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (حجج)، تحقيق باسل محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص 179.

فمعنى محجوج؛ أي مغلوب والشخص المحاجج؛ أي المتكلم الذي لديه غاية التأثير في خصمه ليحصل الإقناع والإذعان وهو الغالب إذا تحققت غايته من الحجاج.

أما في لسان العرب لابن منظور فلقد جاء فيه الحجاج «بمعنى الحجة، وهي ما دفع به الخصم، وقال الأزهري: هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج أي جدل، والتجاج: التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج، ونقول حاجبه حجاجا: نازعه؛ أي غلبه، والحجة: الدليل والبرهان.»⁽¹⁾

وبهذا يكون الحجاج عند ابن منظور مرادف للجدل، وهذا ما نجده في قوله: وهو رجل محاجج؛ أي جدل، وما يثبت الترادف بين المصطلحين لديه -الحجاج والجدل- ما جاء في مادة (جدل): «الجدل اللد في الخصومة، والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالا، ورجل جدل ومجدل ومجدل: شديد الجدل، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدالا؛ أي غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام... والجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به.»⁽²⁾

وربما يعود هذا الترادف بين المصطلحين إلى أن كلاً من الحجاج والجدل يقومان على الخصومة والنزاع، لأن الحجاج والجدل كما ورد تعريفهما لدى الرّمخشري وابن منظور يدور حول الخصومة «وهذا ما دلت عليه كلمة غلبة؛ إذ تكون الغلبة في الكلام والخطاب للذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدّعي.»⁽³⁾

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (حجج)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 28.

(2) لمصدر نفسه، مادة (جدل) ص 105.

(3) عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2014، ص 59.

أما بالرجوع إلى الأصل اللاتيني للمصطلح «نجد أن كلمة «Argument» أشتقت من الفعل اللاتيني "argure" وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا، وهي بدورها من جذر إغريقي "argues" وتعني الأبيض اللامع.»⁽¹⁾

وفي اللغة الإنجليزية الحديثة تشير لفظة argure «إلى وجود إختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة، أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما.»⁽²⁾

وبناءً على ما تقدم في هذه التعريفات اللغوية لمصطلح الحجاج نلاحظ أن جلها يلتقي في أن الحجاج يكون عند وجود خلاف (خصومة) بين طرفين يسعى كل منهما للتأثير في الآخر ومحاولة إقناعه عن طريق إدراج جملة من البراهين والأدلة كوسيلة للتأثير.

2-2-إصطلاحا:

خُصَّ مصطلح الحجاج بتعريفات عديدة ومتنوعة بتنوع الإتجاهات والتيارات الفكرية التي ينتمي إليها الباحثون الذين تناولوا هذا الموضوع بالدراسة والتحليل، باعتبار أن الحجاج من أهم المباحث في البلاغة الجديدة التي تهتم وتطمح لأن تكون علما واسعا للمجتمع، وعلما يضم جميع الخطابات، بعدما كانت علما خاصا بالخطاب، ومن بين هذه التعريفات نذكر ما ذهب إليه ريتشارد" و "مالكوم" على أن الحجاج «عملية إتصالية تعتمد الحجة المنطقية -بالأساس- وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم.»⁽³⁾

وعلى هذا يكون هدف الحجاج الأساس هو محاولة الإقناع والتأثير في الآخرين من خلال عرض الأدلة والحجج المنطقية، التي من شأنها حمل المتلقي على الإذعان والخضوع للأفكار

(1) عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012، ط1، ص 10.

(2) حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 2.

(3) جميل عبد الحميد: البلاغة والإتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2000، ص 105.

التي يعرضها عليه المحاجج في حال وجود اختلاف في الآراء وتوجّهات بينهما. وبناء على هذا يكون الاختلاف هو الباعث والمحرّك للحجاج؛ فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي، فنحن لا نحاجج في أمر مأخوذ على أنه حقيقة يقينية راسخة، كالحقائق الرياضية مثلا أو في أمر مأخوذ على أنه صارم وواجب النفاذ، وإنّما يكون الحجاج كما يقول "برلمان" «فيما هو مرجّح وممكن ومحتمل». (1)

كما أنّ الأدلّة التي تقدّمها المحاججة ليس من شأنها أن تكون حاسمة وفاصلة، فيما تثبته أو تنفيه على سبيل الحقيقة الجازمة والمؤكّدة التي لا تقبل شكّا أو احتمالا للخطأ؛ بل لها حقائق متعدّد وعلى الأدلّة المعروضة أن ترجّح إحداها على الأخرى، أو أن تصل إلى ما هو أقرب للحقيقة والصواب، وفي اعتقاد "فوكيي" "Fouquie" «أن في الحجاج إشارة إلى الشكّ لأنّه يفترض أن مجال الإتفاق حول موقف معيّن ليس واضحا بما فيه الكفاية؛ مما يجعل مجال الحجاج مجالا للمعقول الذي ينفلت من كل الضروريات الحسابية؛ إذ أن طبيعة المداولة والحجاج تتعارض مع الضرورة والبداهة، لأننا لا نحاجج ضدّ البداهة ولا نتداول حينما يكون الحل ضروريا (2)». «

كما عرّف "بيرلمان" perelman الحجاج بأنه «جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقتناع» (3).

إن "بيرلمان" في هذا التعريف يرى أنّ غاية الحجاج الأساسية؛ إنّما هي التأثير في المتلقي من أجل حمله على الإذعان والاقتراع بالأفكار التي يعرضها عليه الشخص المحاجج، كما تجدر الإشارة هنا إلى أن "بيرلمان" هو أول من أطلق مصطلح البلاغة الجديدة "La nouvelle rhétorique" عام 1958 على نظرية الحجاج «التي تهدف إلى دراسة مختلف

(2) جميل عبد الحميد: البلاغة الاتصال، ص 106.

(2) عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص 11.

(3) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص 21.

التقنيات الخطابية، كما أنها تسعى إلى إثارة موالاة عقول الناس للأفكار المعروضة عليهم بالقبول، بالإضافة إلى أنها تفحص الشروط التي تسمح للحجاج بأن يبدأ ثم يتطور، فهي تهتم بالآثار الناجمة عن ذلك التطور.»⁽¹⁾، ولقد أشار "بيرلمان" إلى هذه التوجهات في كتابه الذي ألفه مع "تيتيكا" الموسوم بـ: "مصنّف في الحجاج"، وقد سُميت نظرية الحجاج بالبلاغة الجديدة «لحدائث الأبعاد التي تهتمّ بها؛ حيث أنها تسعى لتخليص البلاغة مما علقّ بها من سلبات وعيوب الخطابة القديمة وجعلها علما مستقبليا هدفه تطوير المجتمع وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خطتها الحجاجية المتأسّسة عليها، إن "برلمان" في هذا الوصف يطمح إلى أن يشيّد خطابة جديدة غايتها تخليص الحجاج من التهمة المتعلقة بأصل نسبه القديم، وتتمثل هذه التهمة في المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا ودفعه للقبول باعتبارية الأحكام ولا معقوليتها»⁽²⁾، ويعود ذلك إلى أن حقل الخطابة قد اتّسع فعلا، فما عاد يقتصر على الأجناس الخطابية الثلاثة التي حدّدها "أرسطو": «المشاجري والتثبتي والمشاوري، بل أصبح يشمل ميادين جديدة تتعلّق في نهاية الأمر بكل أنواع الخطاب الإقناعي.»⁽³⁾

ومن جهة أخرى فإن "بيرلمان" قد رأى أن الخطاب الحجاجي الذي عرض «له أرسطو في كتابه "الخطابة" هو حجاج موجّه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة وفي مقامات خاصة، والحجاج هنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإثارة

(1) عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص 20.

(2) حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 10.

(3) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص 20.

المشاعر والإنفعالات وإلى إرضاء الجمهور، واستمالتة ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع.»⁽¹⁾

إن "بيرلمان" في طرحه هذا أكد على ضرورة قيام الحجاج على مبدأ المعقولية والإقناع الذي يرتبط لديه بغاية إنسانية أسمى هي تحقيق الحرّية الإنسانية، ويمكن أن نجمل تصور "برلمان" للحجاج في الجدول الآتي:

جدول رقم (01):

(2)

الباعث	طبيعة الموضوع	العلاقة بين الطرفين أثناء الحجاج	الحجج ودورها طبيعتها وشروطها	المحور	الغاية	الغاية الأسمى
الاختلاف	الاحتمال والإمكان	تفاهم وتعاون وتقارب	الترجيح المعقولة المقامية	المتلقي	الاستمالة والتأثير (الإقناع)	الحرية

(1) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الغريبي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 18.

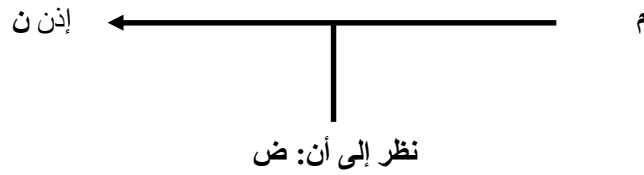
(2) ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النّقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2008، 1، ص 102.

فالمسار الحجاجي عند "برلمان" حواري تكون الحجج فيه كثيرة نسبيا تقدّم في شكل مقدمات توصل إلى نتيجة التسليم والاعتناع (1).

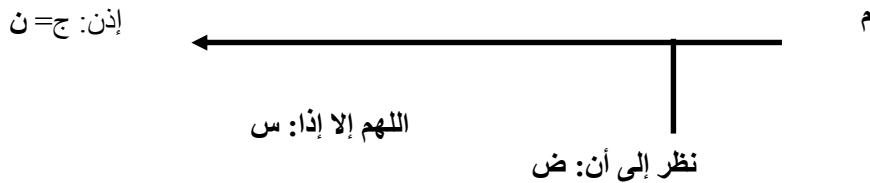
وهذا ما تسعى البلاغة الجديدة إلى دراسته؛ ذلك أنها تهتم «بفحص الشروط التي تسمح للحجاج بأن يبدأ ثم يتطور ويتفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور» (2).

أما "تولمان" Tolman فلقد لخص مفهومه للحجاج على شكل مخططات التي صاغها على الشكل الآتي:

- «الرسم الأول: وفيه نجد للحجاج ثلاثة أركان رئيسية هي: المعطى (م) والنتيجة (ن) والضمان (ض) ويصاغ نظريا على النحو التالي:

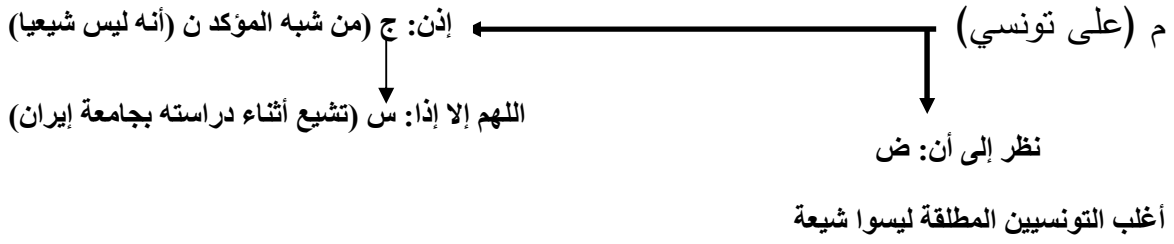


-الرسم الثاني: هو تدقيق للرسم السابق بأن أضاف إليه عنصران هما: عنصر الموجه ونصطلح عليه بـ(ج) وعنصر الاستثناء الذي يمثل شروط رفض القضية، فأصبح كالاتي:



مثلا:

- (1) ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 102.
 (2) صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في "شروح التلخيص للخطيب القزويني"، دار صادر للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص 30.



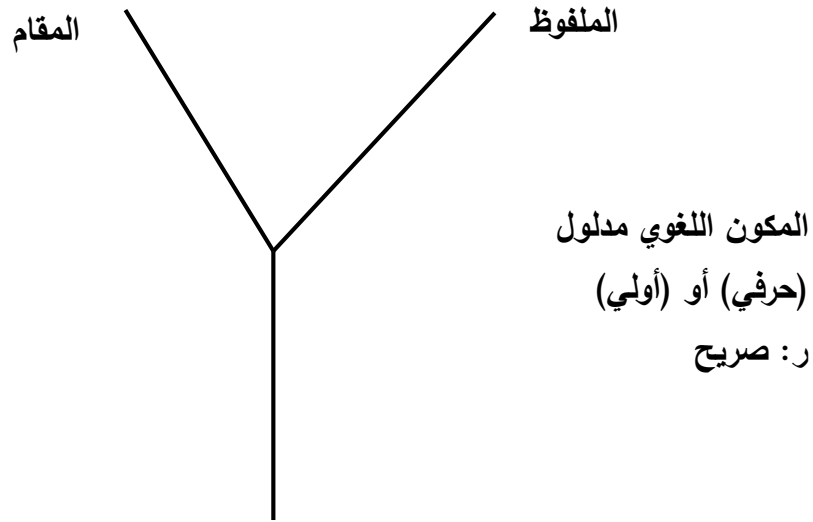
إنّ أهم الأركان في هذه الرسوم الحجاجية هي حسب الباحث الفرنسي "بلونتين" المعطى "م" والنتيجة "ن" والضمان "ض" (1).

«أما "ماير" فقد استخلص مفهوم الحجاج من مفاهيم المدرسة الفرنسية من جهة، ومن جهة أخرى فلقد كانت له مجهوداته الخاصة به، فلقد عرّف الحجاج بأنه «دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام ومضمونه» (2).

إن "ماير" قد ذهب بذلك إلى أن الحجاج يقوم على قسمين: قسم صريح وآخر ضمني، لذلك فهو لا يختلف عن غيره من الحجاجيين الذين يهتمون بقضايا الخطاب؛ فالعلاقة بين الضمني والصريح هي على صعيد لساني محض مندرجة حسب "بروندونير" في إطار تداولية مندمجة بين معطيات اللغة على نحو ما هو عند دي سوسير" من ناحية، وبين عناصر المقام ومعطياته من ناحية أخرى، ويمكن تلخيص آرائه في الرسم الآتي:

(1) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائص الأسلوبية، ص 23.

(2) المرجع نفسه، ص 37.



مكون من خارج اللغة

دلالات التلفظ "الضمنية"

ولقد اعتبر "بروندونير" أن هذا الرّسم يمثّل مدار الدّراسة الحجاجية.⁽¹⁾

3- تعريف الخطاب:

3-1- لغة:

من بين التعريفات اللغوية التي خصّ بها مصطلح الحجاج نذكر:

«خَطَبَ يَخْطُبُ خُطْبَةً، يقال: الخطب أي الشّان والأمر صغر أو عظم والجمع خطوب، وخطب الخاطب على المنبر خُطَابَةً بالفتح، وخُطْبَةٌ بالضّم، وذلك الكلام خطبة أيضا، وهي الكلام المنشور المسجع ونحوه، وفصل الخطاب: الحكم بالبيّنة أو اليمين أو الفقه في القضاء.»⁽²⁾

(3) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائص الأسلوبية، ص 37.

(2) الفيروزبادي: القاموس المحيط، مادة (خطب)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1999، ص 83.

كما أن الخطاب «من خَطَبَ خَطْباً، ونقول: خَاطَبَهُ مَخَاطَبَةً وخطاباً أي كالمه وحادثه ووجه إليه كلاماً، ويقال: خاطبه في الأمر: حدّثه بشأنه والخطاب بمعنى الكلام، وفي التنزيل العزيز ﴿فَقَالَ أَكْفَأْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾⁽¹⁾،

ومن خلال ما ورد في التعريفين السابقين يمكن القول إن الخطاب هو الكلام الذي يعبر به المرء عما يريد الإفصاح عنه من أفكار ومواقف أو مشاعر بغية تحقيق أهداف معينة.

3-2-اصطلاحاً:

يتردد لفظ الخطاب كثيراً بالاقتران بوصف آخر، مثل الخطاب الثقافي و الخطاب الصوفي و الخطاب السياسي و الخطاب التاريخي، ولذلك ورد لفظ الخطاب بتعريفات متنوعة في هذه الميادين العديدة، كما ورد لفظ الخطاب في الثقافتين العربية و الغربية ، مع وجود درجات من التفاوت أو التقارب في معناه، وفيما يلي سوف نعرض جملة من هذه التعريفات التي خصّ بها الخطاب سواء عند العرب أم الغرب والتي من بينها نذكر:

أ/ تعريف الخطاب عند العرب:

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية في العديد من المواضع؛ إذ ورد في القرآن الكريم بصيغ متعددة منها صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽²⁾، «أي إن سفه عليهم الجاهلون بالسيء لم يقابلوهم عليه كمثلته، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً.»⁽³⁾،

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول، تركيا، (دت)، ص 83.

(2) الفرقان الآية [63].

(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 1364.

والمصدر في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ (1) «أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه» (2).

أما التهاوني فقد عرّفه بأنه «توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، وقيل اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيّء لفهمه» (3)، كما عرّف الأصوليين الخطاب بأنه «عبارة عن كلام الله المتعلّق بأفعال المكلفين، وبإضافة الكلام إلى الله سبحانه وتعالى يخرج منه خطاب من سواه، إذ لا حكم إلا حكمه» (4).

وهذا التعريف ما يعرف به الأصوليين الحكم، فيقولون هو خطاب الشارع المتعلّق بأفعال المكلفين طلباً أو تغييراً أو وضعاً، والمقصود من الخطاب هنا ليس الخطاب الأصولي الذي يتعامل مع الفقه في الشريعة الإسلامية، وإنما يقصد به كلام الله تعالى المتعلّق بالمكلفين في أمور الاعتقاد فحسب.

ب/ تعريف الخطاب عند الغرب:

أمّا في الدراسات الحديثة فقد ورد المصطلح لأول مرة عند "هايمز" ومن بين التعريفات التي خصّ بها الخطاب لدى الباحثين الغربيين نذكر:

(1) لنبا الآية 37.

(2) ابن كثير، المصدر نفسه، ص 1955.

(3) أحمد راجح الكردي: الخطاب العقدي للكينونة الإنسانية في القرآن الكريم، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،

ط1، 2012، ص 9.

(4) المرجع نفسه: ص 10.

عرفه "بنفست" بأنه «عبارة عن وحدة لغوية تفوق الجملة تولدت من لغة جماعية»⁽¹⁾، كما عرفه "هاريس" بأنه: «عبارة عن ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية.»⁽²⁾

عرفه "بنفست" بأنه «عبارة عن وحدة لغوية تفوق الجملة تولدت من لغة جماعية»⁽³⁾، كما عرفه "هاريس" بأنه: «عبارة عن ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية.»⁽⁴⁾

هذا كما عرّف الخطاب بأنه عبارة عن «عملية إتصالية تتم في إطارين: الإطار اللغوي، فقد يكون متتالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين، كما يحدث في الحوار أو غيره، وإطار غير لغوي يشمل العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق.»⁽⁵⁾ و يمكن القول إن الخطاب إجمالاً يُطلق على أحد المفهومين: «أنه الموجّه إلى الغير لإفهامه قصداً معين والثاني: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة»⁽⁶⁾

ومن خلال عرضنا لهذه التعريفات التي خصّ بها الخطاب، نلمح أن هذه التعريفات وإن اختلفت في بعض القضايا إلا أن جُلّها تشترك في أن:

— أن الخطاب عبارة عن عملية تواصلية تقوم أساساً على طرفين هما: المرسل والمرسل إليه.

(1) فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والدراسات والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 40.

(2) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992، ص 30.

(3) فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والدراسات والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 40.

(4) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992، ص 30.

(5) خلود العموش: الخطاب دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 24.

(6) المرجع نفسه، ص 25.

تهدف هذه العملية التواصلية إلى التأثير والإفهام أو نقل معلومات إلى متلقٍ معين، ويتم ذلك عن طريق رسالة معينة ينتجها مرسل الخطاب وتكون هذه الأخيرة -الرسالة- تثير إهتمام المتلقي.

4- علاقة الحجاج بالخطاب:

تكتسب العملية التخاطبية إستراتيجياتها من الأحوال المصاحبة للخطاب، فالمتكلم أثناء تخاطبه ينقل تصوّراته ومدركاته إلى المستمع قاصداً بذلك إقناعه أو تغيير بعض معارفه وأفكاره وبخاصة ما يظهر فيها اختلاف بينهما، «فيسعمل خطاباً حجاجياً لتلك الغاية، وعلى هذا الأساس فإن الحجاج جنس خاص من الخطاب مبني على فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً، قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه، والتغيير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية»⁽¹⁾

ولقد أجمع العديد من الباحثين على أن الخطاب يشتمل على ثلاثة أنماط من العلاقات وهي:

1. العلاقات الفضائية.
2. العلاقات الزمانية.
3. العلاقات المنطقية.

«ذلك أن الخطاب عبارة عن متتالية من الأقوال والجمل، أو بتعبير حجاجي مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق؛ فالحجة تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة، والدليل يفضي إلى نتيجة، والنتيجة تفضي إلى دليل آخر، ومجموع هذه العلائق هو ما يكون البنية المنطقية للخطاب المقصود وهو ما نسميه بمنطق الخطاب، إلى جانب المظاهر

(1) محمد العبد: النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع60، مصر، 2002، ص 44.

الحجاجية المشار إليها حتى الآن، والتي تهتم بالبنية الداخلية للخطاب، يمكن الحديث عن وظيفة حجاجية عامة للخطاب برمته من خلال ربطه بالمتكلم والمخاطب وملابسات وظروف السياق التخاطبي والاجتماعي العام.⁽¹⁾

والخطاب أيًا كان نوعه تكون له وظائف متنوعة، ووظيفة إخبارية وإعلامية ووظيفة جمالية وأخرى تفاعلية، وكذلك وظيفة حجاجية إقناعية وغيرها من الوظائف التي يختص بها الخطاب «ومن هذا المنظور يرتبط الحجاج بالخطاب؛ إذ أن الكلام إن صح القول كله حجاجي». ⁽²⁾ هذا وقد أكد "ديكرو" في العديد من مؤلفاته على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب والحجاج، هذه القوانين التي تتدخل في تحديد المحتويات الحجاجية؛ فالحجاج يتوقف على الدور الذي تؤديه قوانين الخطاب خاصة الشمول، الإخبارية والإفادة في تحديد دلالات الأقوال.⁽³⁾

ومما سبق ذكره يمكن رصد معالم العلاقة التي تربط بين الخطاب والحجاج؛ إذ يعد الحجاج إحدى الوسائل أو الآليات الخطابية التي يلجأ إليها المتكلم في العديد من مواقف التواصل الاجتماعي خاصة إذا ما تعلق الأمر بالإقناع والتأثير والرغبة في تغيير سلوك الآخر وحمله على الإذعان، وذلك من خلال استعمال واستحضار تقنيات محددة يلجأ إليها الشخص المحاجج، وهذه التقنيات بدورها تخضع لظروف القول وملابساته؛ فالمتكلم ينتقي هذه التقنيات تبعاً لخصائص المتلقي، وكذلك نوع الموضوع المراد بثه إليه، ومستواه الثقافي والتعليمي وغيرها من الخصائص، وما يؤكد ويرسخ علاقة الحجاج بالخطاب هي ما يتميز به الخطاب الحجاجي عن باقي الخطابات الأخرى بكونه «خطاباً موجّهاً وهادفاً ومبنياً بناءً استدلالياً يتم فيه اللجوء إلى الحجّة والاستدلال

(1) أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 18.

(2) محمد نجيب الهمامي: تحليل الخطاب السردى، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2009، ص 228.

(3) عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الشركة الوطنية للفنون المطبعية، رغبة، الجزائر، (دط)، 2003، ص 122.

وموجّها مسبقاً بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو علمية
تتطلب الانتصار لفكرة أو الدفاع عن رأي.»⁽¹⁾

(1) نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1،
2012، ص 118.

الفصل الأول

الحجاج أنواعه وخصائصه

1. الفرق بين الحجاج والجدل والبرهان

2. أركان الحجاج.

3. أنواع الحجج.

4. أنواع الحجاج.

5. العلاقات الحجاجية.

6. خصائص النص الحجاجي.

1- الفرق بين الحجاج والبرهان والجدل :

عادة ما يتم الخلط بين الحجاج ومصطلحي البرهان والجدل، مما جعل الكثير من الباحثين يلجأون إلى الترادف بين هذه المصطلحات الثلاث (ماهي حجتك؟، ما هي براهينك؟)، (حاججته في الأمر، جادلته في الأمر)، إلا أنّها في حقيقة الأمر تختلف وتتباين في الدلالة من مصطلح إلى آخر، وهذا ما أشار إليه العديد من الباحثين الذين اهتموا بتوضيح تلك الخيوط الدلالية الرفيعة التي تمثل حدودا فاصلة بينها، وهذا ما سنسعى إلى توضيحه فيما يلي:

1-1- الفرق بين الحجاج والبرهان :

إن الدلالة التقنية المعبرة عند أهل المنطق لمفهوم الحجاج والبرهان تختلف اختلافا واضحا بين المصطلحين، فالبرهان ينتمي في الأصل إلى مجال الاستنباطية المنطقية والرياضية، بينما الحجاج فينتمي إلى مجال الخطاب الطبيعي، «كما أنه في البرهان ننتقل من العبارات دون الالتفات إلى محتواها، وإنما نكتفي بتطبيق جملة من القوانين المنطقية على عدد محدود من العبارات الأولية التي تشكّل نقطة إنطلاقنا (تعريفات، مسلّمات، فرضيات) لنولّد منها عبارات جديدة يمكن البرهنة عليها، إنطلاقا من تلك العبارات الأولية وعلى خلاف ذلك تتميز العلاقة الحجاجية التي تنشأ في الخطاب الطبيعي بأنّ تعالق الملفوظات فيها يستجيب لاعتبارات داخلية محضة، مرتبطة بطبيعة الملفوظات ومعناها ذاته، أي أن المحتوى يلعب دورا حاسما في الانتقال بين الوحدات في العملية الحجاجية»⁽¹⁾

كما أن الحجاج «يرتبط بمستمع معين خاص أو متخصص، فالمستمع الخاص مثل الشباب واليسار والفلاحين، أمّا المتخصص مثل المحكمة والأطباء... إلخ، ومن ثمّ فالمقدّمات الحجاجية لا تكون بديهية، بل هي قضايا مقبولة من طرف المستمع المستهدف، ولذلك فإن

(1) حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 186.

الفصل الأول _____ الحجاج أنواعه وخصائصه

مبدأ الموضوعية يترك المكان للتوافق عليه»⁽¹⁾، بالإضافة إلى أن الحجاج لغته ألفاظها متعددة الدلالات، متراوحة بين الحقيقة والمجاز (لأنه يعتمد على اللغة الطبيعية)، وهذا ما يطبعها بالاحتمال هذا وقد ذهب العديد من الباحثين إلى أن الحجاج يختلف عن البرهان من خلال إرتباط الحجاج بسياق معين «حيث أن البرهنة تقع مجردة في استقلال عن كل سياق عدا سياق النظام، صحيحة كانت أو خاطئة، مطابقة لقواعد الاستدلال في النظام أو غير مطابقة، في حين نجد أن الحجاج قد ينهض على حجج مفيدة أو العكس، قوية أو ضعيفة، موافقة للمخاطب الذي تتوجه إليه، كما لا يقوم التفكير الحجاجي على حقائق عامة، ولكن على آراء تهتم بأطروحات من كل طائفة»⁽²⁾

ومن بين الباحثين الذين إهتموا بتحديد الفروق بين المصطلحين "أوليفي ربول" oliver reboul الذي ذكرما يتميز به الحجاج عند "بيرلمان وتيتيكاه" عن البرهان و التي جعلها خمسة خصائص رئيسية، «الأول: بأنه يتوجه إلى مستمع (متلقي) والثاني يعبر عنه بلغة طبيعية والثالث: مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية والرابع لا يفترق تقدمه (تتاميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة، أما الخامس فإن نتائجه (خلاصاته) ليست إلزامية.

ورغم هذا الاختلاف الموجود بين البرهان والحجاج، إلا أن القيمة البرهانية لا تتعرض للإهدار ما دام منتج الخطاب يعطي إichاءا قويا عن نفسه وعن الأشياء، ويقدم لها صورة لا تحمل المستمع على الفصل بين الإجراء والواقع»⁽³⁾

-
- (1) محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، دار إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2005، ص 216.
 - (2) صابر الحباشة: التداولية والحجاج مدخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، ط1، 2008، ص 69.
 - (3) علي محمد علي سليمان: كتاب الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجاً)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 89.

1-2 الفرق بين الحجاج والجدل :

ذهب العديد من من الباحثين إلى جعل مصطلح الجدل مرادفا للحجاج، وهذا ما توضحه المصنّفات التي ألفوها، «مثل ما نجده عند أبي الوليد الباجي الذي عنون كتابه "بالمنهاج في ترتيب الحجاج" وهو كتاب في علم أصول الفقه وقد وصفه في المقدمة بأنه كتاب في الجدل، إذ يقول: «أما بعد فإنني لما رأيت بعض أهل عصرنا على سبيل المناظرة ناكبين وعن المجادلة عادلين... أزمعت أن أجمع كتابا في الجدل، ويذهب الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" والسيوطي في كتابه "الاتقان في علوم القرآن" المذهب ذاته من أنّ الجدل والحجاج مترادفان واستخدما في المتن ألفاظ المحاججة والحجاج والاحتجاج على أنّها ألفاظ مرادفة للفظ الجدل وتسد مسده». (1)

ولقد أجمع العديد من الباحثين أن لفظ الحجاج كان مرادفا عند القدماء للجدل، إلا أنّ التسليم بهذا الترادف من شأنه أن يضيق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل من حيث هو مجال يدخل ضمن المنطق، والحال أن الحجاج أوسع من الجدل ويختلف عنه في بعض القضايا والدلالات، وهذا ماورد في البحث الذي قام به عبد الله صولة من خلال بحثه عن دلالة المصطلحين في القرآن الكريم معتمدا على ما أشار إليه محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره لآيات الذكر الحكيم، حيث لاحظ فرقا دقيقا بين معنيي اللفظين في استخدام القرآن الكريم لهما، «فقد قال في شأن "حاج" وما أشتق منه عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۗ﴾» (1)

(1) عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص 10.

أَلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾، فمعنى حاجّ خصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرد دالّ على وقوع الخصام ولا يعرف المادة التي أشتقّ منها ومن العجيب أن الحجّة في كلام العرب البرهان المصدّق للدعوى مع أن حاجّ لا يُستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل، وقال في شأن "الجدل" عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ سَخَّتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ (١٧) ﴿٢﴾، والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه هي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك، وقال في موضع آخر المجادلة المخاصمة بالقول وإيراد الحجّة عليه فتكون في الخير كما تكون في الشر. ﴿٣﴾، لذلك يمكن القول مما سبق أن الجامع بين اللَّفْظَيْن هو المخاصمة لكنها في الحجاج قائمة على الباطل عادة كما أشار إلى ذلك "ابن عاشور" معتمدا مدونة القرآن وما يحيط بها من إعتبارات (السياق) لإضفاء الفرق بين المصطلحين.

2 - أركان الحجاج :

لكي يكون هناك حجاج ينبغي أن تتوفر مجموعة من العناصر الأساسية التي جمعها الباحثون في:

2-1- خبر عن العالم : أو ما يُعرف بالخطاب، والخطاب كما ذهب كل من "ديكرو" و"أنسكومبر" «ليس فقط وسيلة بل هو غاية أيضا.» (4)

ومعناه أن الخطاب ليس مجرد وسيلة إخبارية تتمثل في نقل المعلومات أو أخبار، وإنما هو غاية يسعى المتكلّم من خلالها إلى التأثير في المتلقي عن طريق استراتيجيات إقناعية تتمثل عمود

(1) البقرة الآية 258.

(2) النساء الآية 107

(3) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 11، ص 14.

(4) عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 121.

التشكيكية الإبلاغية، حيث أن هذه التقنيات يعمد من خلالها مُلقي الخطاب إفهام السّامع بالدرجة الأولى ليحصل بعد ذلك الهدف المنشود ألا وهو الاقتناع والتأثير، والجاحظ مثلاً في كتابه "البيان والتبيين" جعل من البيان الوسيلة الأساسية التي يحصل بها الإفهام والاقتناع، حيث قال: «البيان إسم جامع لكل شيء متى كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام أو أوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع.»⁽¹⁾

فالجاحظ هنا قد رأى أن البيان يهدف إلى إفهام السامع، وإيضاح المعنى لديه، إذ يستعمله المتكلم كوسيلة لإفهامه وتوضيح المعنى لديه، وهذا ما نجده في قوله (...لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل، إنّما هو الفهم ثم الإفهام)، كما أن الجاحظ قد ذهب إلى «أنّ البلاغة كعلم ترتبط بأهداف إقناعية، مبرزاً أن للكلام أدوار تكمن في الخصومة ومنازعة الرجال ومناقشة الأكفأء ومناضلة الخصوم وفي الاحتجاج على أرباب النحل ومقارعة الأبطال.»⁽²⁾، لذلك يمكن القول أن نجاعة الخطاب إنّما تكمن في مدى قدرة المتكلم على إقحام عالم المتلقي وتغييره والتأثير فيه، فمتى كان ذلك كان الخطاب ناجحاً وأدى غايته وأهدافه.

ولأن موضوع بحثنا يتناول الخطاب القرآني دون غيره من الخطابات الأخرى فيمكن تعريفه بأنه «كلام الله تعالى الموجه للمخاطبين لتعريفهم بخالقهم سبحانه وتعالى وبوحدانيته ودفعهم للإيمان به وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وقضائه وقدره، بالحُجج والبراهين الموجهة لمختلف جوانب الفهم في الانسان، وبمختلف أنواع الخطاب وخصائصه، بما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم، كما وردت في القرآن الكريم.»⁽³⁾

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق أبو ملحم: دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2، 1992، مج1، ص 82.

(2) عبد الجليل العشراوي: الحجاج في البلاغة النبوية، ص 46.

(3) أحمد راجح الكردي: الخطاب العقدي للكينونة الإنسانية في القرآن الكريم، ص 11.

فالقُرآن الكريم خاطب كل بني آدم ليهتدوا إلى طريق الحق ويبتعدوا عن الضلال، لذلك فقد تنوع خطابه بتنوع الأقسام والمخاطبين، فالإمام ابن الجوزي قد أحصى خمسة عشر نوعاً من الخطاب القرآني في كتابه الذي عنوانه بالمدحش والتي رأى أنها تتمثل في:

1. خطاب عام كقوله تعالى (خلقكم).
2. خطاب خاص (أكفرتم).
3. خطاب الجنس (يا أيها الناس).
4. خطاب النوع (يا بني آدم).
5. خطاب العين (يا آدم).
6. خطاب الذم (يا أيها الذين كفروا).
7. خطاب المدح (يا أيها الذين آمنوا).
8. خطاب الكرامة (يا أيها النبي).
9. خطاب التودد (يا بن أمّ إن القوم) ⁽¹⁾
10. خطاب الجمع باللفظ الواحد (يا أيها الإنسان ما غرّك).
11. خطاب الواحد بلفظ الجمع (وإن عاقبتكم).
12. خطاب الاثنين بلفظ الواحد (فمن ربكما يا موسى).
13. خطاب الواحد بلفظ الاثنين (ألقيا في جهنم).
14. خطاب العين المراد به الغير (فإن كنت في شك).
15. خطاب التلو وهو على ثلاث أوجه:

(1) ابن الجوزي: المدحش، علّق عليه وصحّحه مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص 15.

الوجه الأول: أن يخاطب ثم يخبر، قال تعالى في سورة يونس الآية [22]: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

الوجه الثاني: أن يخبر ثم يخاطب، كما نجد ذلك في سورة آل عمران، الآية 106 قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

الوجه الثالث: أن يخاطب عينا ثم يصرف الخطاب إلى الغير، كما نجد ذلك في سورة الأحزاب الآية رقم 45 قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (1)

وما تجدر الإشارة إليه أن هناك العديد من التقسيمات التي خص بها الخطاب القرآني، فمن الباحثين من ذهب إلى تقسيمه إلى خطاب سلوكي وآخر قصصي، كما أن هناك من قسمه إلى خطاب مباشر وآخر غير مباشر، وهذا الاختلاف قد يعزى إلى التباين في وجهات النظر التي ينطلق منها الدارس لهذا الموضوع.

2-2- فاعل يلتزم بهذه الإشكالية (الإقناع) :

«وهو ما يُعرف بالمخاطب، إذ هو منتج الخطاب وباعثه، وهو وحده الذي يستطيع تحديد الدلالات ومقاصدها، بل إن المعنى في كثير من الأحيان مرتبط بما ينويه.» (2)

(1) ابن الجوزي: المدهش، ص 15.

(2) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلية، الجزائر، ط1، 2009، ص 163.

فهو يملك قدرة خطابية يعمل من خلالها على إنشاء حجج يسعى بواسطتها التأسيس لحقيقة سواء كانت عامة أم خاصة أم كونية باتباع استراتيجيات معينة، وقد ذهب "بيرلمان" إلى أن الباث (المخاطب) أثناء عملية التّواصل، إنما يسعى للتأثير في المتلقي وتغيير سلوكه وأفكاره، وذلك بإدراج حجج تعمل على تحقيق هذه الغاية المرجوة، لذلك ذهب إلى أن «الخطاب الحجاجي وهو يلزم الباث بوجهة نظر معينة ويتّخذ من إقناع المتلقي لها هدفا أساسا، إنما يبتعد عن كونه مجرد تواصل عادي.»⁽¹⁾

ومما تجدر الإشارة إليه أن قضية الإرسال والتلقي قاد نالت إهتمام العرب القدامى و هذا ما تثبته المصنفات التي ألفوها مثل كتب البلاغة «إلا أنّها كانت ذات طابع معياري بارز، فهي تتصرف مباشرة إلى الأثر، فلا يتعلق الأمر عندهم بدراسة وصفية تهتم بالعملية في شروطها الموضوعية أو التاريخية، بل اهتموا بالأثر الذي تتركه الرسالة أو ينبغي أن تتركه، وكيف يكون الخطاب ناجحا.»⁽²⁾

وفي موضوع الخطاب القرآني فإن المخاطب هو الله سبحانه وتعالى خاطب بني البشر عن طريق أنبيائه ورسله عليهم السلام، فبعث لكل أمة نبيّ منهم يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فخطاب الله للبشر لم يكن خطابا مباشرا، وهو خطاب يختلف عن سائر أصناف الخطابات الأخرى، إذ جعل عز وجل أنبياءه ورسله وسيلة لنقل أوامره ونواهيه، فقد أوحى الله تعالى لكل نبي برسالة وأمره بتوجيهها إلى قومه حتى يمتثلوا لطاعة الله وحده لا شريك له.

كما أنّه خطاب له خصوصياته التي تميزه وينفرد بها عن بقية الخطابات الأخرى المتداولة بين الناس، فهو خطاب صالح لكل زمان ومكان، وله من البيان وإعجاز النظم ما لم يوجد في غيره من الخطابات الأخرى.

(1) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص 32.

(2) محمد العمري: البلاغة أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص 287.

2-3-فاعل آخر يهتم بالخبر نفسه إشكالية وحقيقة :

إذا كان المتكلم هو منتج الخطاب، فإن السامع هو من ينشأ له الخطاب، فهو الذي يشكّل هدف الحجاج، والذي يوجّه إليه «الفاعل المحاجج خطابه على أمل استدراجه من أجل مقاسمته الحقيقية نفسها (الإقنتاع) مع العلم أنه بإمكانه قبول الحجاج أو رفضه (أن يكون مع أو ضد)». (1)

وقد حضى السامع في العملية الإبلاغية في الدرس العربي وخاصة البلاغي بأهمية لا تقل على المتكلم من حيث أنه يشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فعالة، إن لم تكن مباشرة، فالمتكلم حين يراعي مقام الخطاب وأحوال السامع وأشكال إلقاء الخبر إليه، وما إلى ذلك من ظروف الحديث المختلفة، فهو إنّما يستحضر السامع في كل عملية تواصلية.

ولقد تنوع أنماط المخاطبين في القرآن الكريم لمخاطبته جميع البشر، فقد خاطب المؤمنين والطغاة والمنافقين، وذلك حسب المقام والأحداث التي جرت على مرّ الأزمان والعصور «والمخاطبون في القرآن الكريم نوعان على الأقل: نوع يُذكر داخل النص القرآني، وهو بدوره ينقسم إلى قسمين، قسم مذكور معيّن باسمه أو لقبه أو بضمير المخاطب الذي يعينه، شأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم». (2) قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطِعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴿٢﴾، وفي قوله أيضا ﴿يَتَأْتِيَ الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾﴾ (4).

كذلك في خطاب الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام الذي ورد في العديد من آيات الذكر الحكيم، فموسى عليه السلام اشتهر بكليم الله من بين أنبيائه بهذه الحلية قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا

(1) باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة أحمد الوردى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 13.

(2) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 41.

(3) الاحزاب الآية 1.

(4) المدثر الآية 1-2.

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ^ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾ تفضيلاً له «وقيل محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام، كلم الله موسى ليلة الحيرة، وفي الطور، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج.»⁽²⁾، وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾⁽³⁾

وحقيقة هذا التكليم كان محل إختلاف بين المفسرين والعديد من الفرق الكلامية، إذ ورد في تفسير بن كثير: «وقوله (تكليماً) مصدر للتوكيد، والتوكيد بالمصدر يرجع إلى تأكيد النسبة وتحقيقتها... ومعنى تكليماً: أن موسى سمع كلاماً من عند الله، بحيث لا يحتمل أن الله أرسل إليه جبريل بكلام، وأوحى إليه في نفسه، وأما كيفية صدور هذا التكليم عن جانب الله فغرض آخر هو مجال النظر بين الفرق»⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَالِمَىٰ فَاخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾⁽⁵⁾، أشار "ابن عاشور" «أن التكليم حقيقة النطق بالألفاظ المفيدة المعاني بحسب وضع المصطلح عليه، وهذه الحقيقة مستحيلة على الله، لأنه من أعراض الحوادث، فتعين أن يكون إسناد التكليم إلى الله مجازاً مستعملاً في الدلالة على مراد الله تعالى باللفظ من لغة المخاطب به، كيفية يوقن المخاطب به أن ذلك الكلام من أثر قدرة الله وفق الإرادة ووفق العلم، فيجوز أن يخلق الله الكلام في شيء حادث سمعه موسى، كما روى أن الله خلق الكلام في الشجرة التي كان موسى حذوها، ذلك أول كلام كلم به الله موسى في أرض

(1) البقرة، الآية [253].

(2) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ج1، ص 113.

(3) النساء، الآية 164.

(4) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 38.

(5) الأعراف، الآية 144.

الفصل الأول _____ الحجاج أنواعه وخصائصه

مدين في جبل (حوريب)...والكلام بهذه الكيفية كان يسمعه موسى حين يكون بعيدا عن الناس في المناجاة»⁽¹⁾.

ويعد تكليم الله موسى عليه السلام تشريفا له، لذلك يُقال له كليم الله، ومن الآيات التي ذكر فيها أيضا تخصيص موسى عليه السلام بالخطاب من الله عز وجل في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْجَعْ نَعْلَيْكَ ۗ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾⁽²⁾.

ومن أنواع المخاطبين الذين عيّنهم الله بالخطاب أهل الكتاب وغيرهم من المشركين، وقد خاطبهم عز وجل لإتباع الهدى والإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۗ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠٦﴾﴾⁽³⁾.

أيضا فئة المؤمنين والصالحين مثل قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنظِرْنَا وَأَسْمِعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾﴾⁽⁴⁾.

وفي قوله أيضا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽⁵⁾. «وأما القسم الثاني: قسم مذكور في القرآن لكنه غير معين ولا محدد، فالمخاطبون ها هنا ليسوا بأعيانهم والصورة النحوية التي جعلت لهم هي صيغة المخاطب المفرد عادة من نحو قوله

(1) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984، مج9، ص 90.

(2) طه، الآية [11، 12].

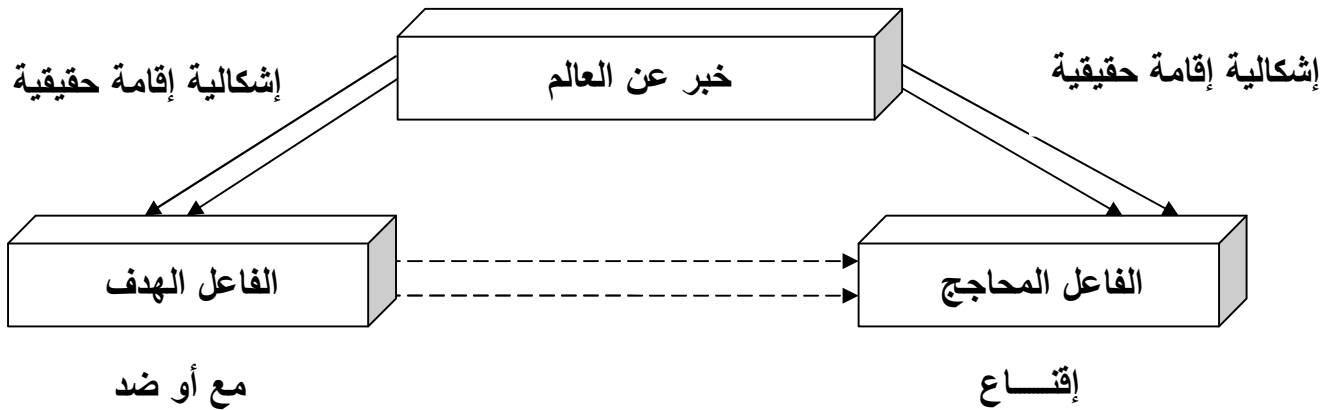
(3) آل عمران، الآية [64].

(4) البقرة، الآية [104].

(5) البقرة، الآية [153].

تعالى ﴿أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽¹⁾ على من اعتبر الخطاب في الآية لغير معيّن، وقد يكون للرسول صلى الله عليه وسلم، أما النوع الآخر من المخاطبين فواقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه، ولكنه معني بالخطاب، وهو جمهور السامعين والمتلقين على خلاف عصورهم وأمكنتهم أو بعبارة الحجاجيين (الجمهور الكوني)⁽²⁾. هكذا يتحدد الحجاج في علاقة ثلاثية: فاعل محاجج (المخاطب)، وخبر عن العالم (الخطاب)، وفاعل هدف (المخاطب) والشكل رقم (1) يوضح سير هذه العملية⁽³⁾.

شكل رقم (1)



(1) النمل، الآية 14

(2) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 42.

(3) باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ص 14.

3-أنواع الحجج :

تنقسم الحجج إلى أنواع عدة، حيث يعمد المتكلم إلى اختيار الحجة المناسبة لإقناع المستمع المستمع ويدعم ذلك بحجج أخرى تخدم الأولى تحسبا لأي اعتراض عكسي من المستمع، إذ قد يكون أحيانا نوع الحجة وطريقة توظيفها هي الملاذ الوحيد للمتكلم لبلوغ هدفه في استمالة المتلقي وإقناعه، لذلك وجب اختيار الحجة المناسبة التي تدعم ما يقدمه المتكلم من مقدمات تدفع السامع للإذعان، ويمكن تقسيم الحجج إلى:

3-1- الحجج المؤسسة لبنية الواقع :

قام "برلمان" بتحليل هذا النوع من الحجج الذي يتم فيه خلق الروابط وتشكيلها، والتي تؤسس لبنية الواقع، فهذا النوع من الحجج تربطه صلة وثيقة بالواقع، ولكنها لا تتأسس عليه، ولا تتبني على بنيته، وإنما هي التي تؤسس هذا الواقع وتبنيه أو على الأقل تكمله»⁽¹⁾.

ولقد جعل "بيرلمان" المثل أحد الروابط التي تؤسس لبنية الواقع «إذ يُعد دعامة كبرى من دعائم الخطاب الإقناعي التأثيري، وفي معناه الواسع حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويُراد استنتاج نهاية أحدهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، ويرى الرازي أن المثل يؤثر في النفس مثل تأثير الدليل، إنه يؤدي إلى الإقناع»⁽²⁾، فنحن هنا أمام وضع يقدم فيه الحجج رابطا غير مباشر بين عناصر الواقع من خلال قيام المخاطب بإقامة علاقة بين هذه العناصر، «وهذا يعني أن هذا الرابط ليس مُعطى مسبقا، وإنما تعود إلى الخطيب المجازفة بتأسيسه، وتقديمه في علاقة ملائمة، كما أنه هو الذي يتحمل مسؤولية مثل هذا الرابط عندما لا يكون موافقا لهذه

(1) سامية الدريدي: الحجج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص 242.

(2) أحمد أولطوف: بلاغة الخطاب الحكائي استراتيجيات الحجج في كلية ودمنة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص 10.

العلاقة، حيث أكد "بلرمان" على ضرورة التوافق المسبق» (1).

«فالأمثال إذن أداة تبليغ وتمثل وجها يقوي به المتكلم حاجه لإنها استدلال بالغياب نقيس به

الحاضر» (2).

ولقد ورد في القرآن الكريم العديد من الأمثال التي جعلها الله سبحانه وتعالى وسيلة لاستحضار أذهان البشر لينقادوا إلى الإيمان والحق، ذلك لما لها من قدرة على تجسيد الواقع وتحقيق التأثير في النفس «فالمثل القرآني هو مثل قياسي، إذ يمكن تحديده بأنه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس، وهو ينقسم إلى قسمين: مثل صوري وآخر قصصي، فالمثل الصوري مثل قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ

بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقلُونَ ﴿١٧١﴾ (3)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً

طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٢٤﴾ (4)، أما القصصي نحو قوله تعالى:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿١٢٥﴾ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا

نَهْرًا ﴿١٢٦﴾ (5)» (6).

(1) فليب بروتون وجبل جوتي: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي الغامدي، دار الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2001، ص 52.

(2) أحمد أولطوف: بلاغة الخطاب الحكائي استراتيجيات الحجاج في كلية ودمنة، ص 11.

(3) البقرة، الآية 171.

(4) إبراهيم، الآية 24.

(5) الكهف، الآية 32-33.

(6) عشتار داوود: الإشارة الجمالية في المثل القرآني، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2005، ص 42.

3-2- الحجج شبه المنطقية :

«وهي التي تستمد طاقتها الإقناعية من مشابهتها للطرق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة مثل التناقض، وهو أن تكون هناك قضيتين في نطاق مشكلتين إحداها تنفي الأخرى، كأن يُقال: المطر ينزل ولا ينزل، وحل الإشكال هنا يكمن في وضع المفوظين على محك الواقع أو المقام لاختبار إحدى الأطروحتين لانسجامهما مع الواقع أو المقام»⁽¹⁾.

3-3- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

لا يعتمد هذا الصنف من الحجج على علاقات منطقية نمطية، وإنما يتأسس على التجربة الذاتية للفرد وعلى علاقات موجودة بين الأشياء المكونة للعالم، «فالحجاج هنا ما عاد افتراضا وتضمينا، بل أصبح تفسيرا وتوضيحا وتفسيرا للأحداث والوقائع وتوضيحا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشياءه، فالخطاب الحجاجي يكون أنجح وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه كلما انخرست مراجعه في الواقع تنزلت عناصره فيما حدث وما يحدث، والواقع أن الحجج المؤسسة على بنية الواقع كثيرة منها: التتابع والغائية والتعايش...»⁽²⁾.

4-أنواع الحجج :

«إن بناء الخطاب الحجاجي يتشكل عن طريق تفاعل مكوناته الداخلية من آليات ومفاهيم، ومكوناته الخارجية من وقائع إنسانية وتجارب وأسباب، وهي عناصر ضرورية لكنها غير كافية لفهم وتحليل الخطاب الحجاجي، ذلك لأن الحجج يطرح إشكالات أخرى ترتبط بطبيعة أشكاله وأنواع حججه وطرق توظيفها»⁽³⁾، وفي هذا الإطار تكون الحاجة ماسة لمعالجة أشكال الحجج معالجة جدية لا يكون الهدف منها الوقوف على موضوع الحجج كمفهوم نظري ، وإنما يكون

(1) فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجج، ص 52.

(2) سامية الدريدي: الحجج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 214.

(3) قدور عمران: البعد التداولي والحجج في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2001، ص 43.

الفصل الأول _____ الحجاج أنواعه وخصائصه

هدفها طرح القضايا الاشكالية التي يتناولها الحجاج بمختلف أنواعه، ذلك أن هذا الأخير - الحجاج- يتميز بالتنوع تبعاً إلى قصد المخاطب المحاجج، وإلى طبيعة الحجج المقدمة وإلى طبيعة المجال الذي ينتمي إليه موضوع الحجاج، ويمكن تقسيم الحجاج إلى الأنواع التالية:

4-1- الحجاج التقويمي :

« هو عبارة عن إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفاً عند حدود ما يوجّه عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يلقي، فيبني أدلته أيضاً على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقاً استفساراته واعتراضاته ومستحضراً مختلف الأجوبة عليها، ومستكشفاً إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها، وهكذا فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مراعيًا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية»⁽¹⁾.

فالتقويم إذاً هو نشاط يقوم به الشخص المحاجج (المتكلم) يسعى من ورائه لإيصال أدلته إلى غيره، عن طريق إقامة مخاطب متخيل من طرفه يفترض المرسل وجوده، فهو بذلك يجعل من نفسه مرسلًا ومتلقٍ في آن واحد تحسباً لأي اعتراض قد يوجّه إلى خطابه من طرف متلقي الخطاب، فهو بذلك يبني استراتيجيات وخطط لمواجهة الحجج التي قد يواجهها بها المتلقي من خلال قيامه -المرسل- ببناء حججاً مضادة يفند بها حجج المتلقي لخطابه الحجاجي.

4 - 2- الحجاج التوجيهي

«هو إقامة الدليل على الدعوى بناءً على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إقارؤه لها، ولا يشتغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها، ورد فعله

(1) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أوالتكوثر لعقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط1، 1998، ص 473.

عليها، فنجده يولي أقصى عنايته إلى مقاصده وأفعاله تتاسي الجانب العقلاني من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر إهتمامه على هذه المقاصد والأفعال الذاتية يُفضي به إلى متمتعاً بحق الاعتراض عليه»⁽¹⁾. ففي هذا النوع من الحجاج تطغى فيه ذاتية الشخص المحاجج، إذ يعطي لمقاصده وأفعاله وأقواله الأهمية الكبرى، دون مراعاته لمتلقي الخطاب وردود أفعاله بنفس المقدار الذي يوليه لخطابه، وهو بذلك لا يتجرد من ذاتيته، و«يُعد هذا الصنف في مستوى الأدنى من الحجاج التقويمي ذلك لأن المرسل يكتفي بقصده فقط في تكوين حججه وتنظيم خطابه... وكأنه في هذا العمل لا يقيم وزناً كبيراً للمرسل إليه (المخاطب) كما لا يهمله مقدار إسهامه في إثراء الخطاب وتوفير الوقت، إذ يكتفي بمجرد إيصال حججه إليه»⁽²⁾.

4-3- الحجاج بالسلطة:

«المقصود بالسلطة في نظر "وودز" و"التون" معنى قريب من الخبرة المعرفية، أي أن تكون للشخصية المتكلمة (مرسل الخطاب) قدم راسخة في المجال الذي يتحدث فيه، وهذا النوع من الحجاج يمكن أن يُضاف إليه الحجاج المستمد من المكانة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يتمتع بها المتكلم»⁽³⁾، ومن أدواته اعتماد التهديد والترهيب من طرف المتكلم كأسلوب لإقناع الآخرين بآرائه ومواقفه حتى وإن كان إدعائه خاطئاً لا أساس له من الصحة ورأي خصمه صائباً.

وهذا النوع من الحجاج يتجسد في حجاج فرعون لموسى عليه السلام «فعندما قامت الحجج على فرعون وانقطعت شبهه، ولم يبق له قول سوى العناد عدل إلا استعمال سلطانه

(1) عبد الله بن ضافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 470.

(2) المرجع نفسه، ص 471.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 198.

الفصل الأول _____ الحجاج أنواعه وخصائصه

وجاهه وسطوته»⁽¹⁾، على سيدنا موسى عليه السلام عندما لم يجد تأثيرا لحواره في المتلقين، وتيقن من فشل حججه ورأى في الوقت نفسه قوة الحجج التي جاء بها سيدنا محمد عليه السلام، فانتهج أسلوب القوة والعنف بدلا من الحجاج والمحاورة، إذ ورد في القرآن الكريم تفصيل في هذه الأحداث، قال تعالى ﴿قَالَ لَئِن آتَّخَذتَ إِلَيْهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾⁽²⁾، ابن وقد فسر عاشور هذه الآية «بأن فرعون عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقمع دعوة موسى من أصلها، وهذا شأن من قهرته الحجة، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد»⁽³⁾، إذ تواعد سيدنا موسى عليه السلام بالسجن إن لم يتراجع عن دعوته لقومه لعبادة الله وحده وأن يتخلو عن الدين الذي هم معتقوه.

ولم يتوقف جبروت فرعون وفرض سلطانه على موسى عليه السلام، بل ذهب إلى معاقبة من آمن من قومه بتلك المعجزات وإقناعهم بحججه، استعمل فرعون ضدهم أسلوب التهديد، إذ ورد في القرآن الكريم وصف تهديده لهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهٖ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۗ فَسَوْفَ نَعْمُونَ ﴿١٢٤﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁽⁴⁾.

جاء في التحرير والتنوير «أن الاستفهام للإنكار والتهديد مجازا مرسلا مركبا، والاختبار مستعمل كذلك أنه لا يقصد حقيقة الاستفهام ولا الاختبار... والضمير المجرور بالباء عائد إلى موسى... ودلت ثم على الارتقاء في الوعيد بالصلب، والمعروف أن الصلب أن يقتل المرء

(1) سعد يوسف أبو عزيز: قصص القرآن، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 2004، ص 229.

(2) الشعراء، الآية 29.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج 18، ص 112.

(4) الأعراف، الآية [123]، 124.

مشدود على خشبة، وعلى هذا يكون توعدهم بنوعين من العذاب، فريق يعذب بالقطع من خلاف وفريق يعذب بالصلب والقتل»⁽¹⁾.

4-4- الحجاج بالتجهيل:

«يتأسس هذا النوع من الحجاج على قاعدة ترى أن المخاطب إذا لم يقدم ما من شأنه دحض أقوال المتكلم، فحجج هذا الأخير صحيحة، فقد تغيب الحجة أو الدليل على المحاجج لعدة اعتبارات منها ما هو نفسي، سياقي، معرفي أو اجتماعي، كما يمكن أن يعرض المتكلم دليلا غير مناسب للمقام الحجاجي، وإنما يفعل ذلك ليوهم السامعين أنه أقام الدليل على دعواه، وهذا ما يُطلق عليه بالاستيلاء»⁽²⁾، وهذا ما نجده قد ورد في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، حيث لجأ هذا الأخير -فرعون- ليخفي ضعف حججه بإيراده لحجج غير ملائمة للمقام الحجاجي، وإنما فعل ذلك ليوهم السامعين أنه أقام الدليل على ما يدعي، إذ لجأ إلى استعمال القوة ووصفه بالجنون قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٦﴾﴾⁽³⁾، وقد قال فرعون هذا لاستنباط الأعداء لنفسه عند قيام

حجة موسى عليه السلام و قد قال ابن عاشور «أن فرعون لما لم يجد لحججه نجاحا ورأى شدة كشيمة موسى في الحق عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقمع دعوة موسى من أصلها و هذا شأن من قهرته الحجة»⁽⁴⁾ فانصرف بعد ذلك بأن إتهمه بأنه ساحر عليم بعدما أظهر له ولمئه ما لا قدرة لهم للقيام بمثله من أعمال السحر ،كما ذهب فرعون إلى وصف موسى عليه السلام بالجنون حين لم يجد مخرجا لتنفيذ تلك الحجج القوية التي قدمها موسى عليه السلام لإثبات

(1) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج9، ص 55.

(2) رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلا العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 36.

(3) الشعراء، الآية 34-35.

(4) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج18، ص122

الربوبية لله سبحانه وتعالى، إذ جاء في قوله تعالى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ۗ أَلَا تَسْتَبْعُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٥﴾ (1)

حيث استدل موسى عليه السلام في إثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى على خلق السماوات والأرض كحجة أولى ولما قدم موسى عليه السلام الحجة الثانية التي تؤكد الربوبية لله (ربكم ورب آبائكم الأولين) عجز فرعون على إيجاد الحجة المضادة، فاتهم سيدنا موسى عليه السلام بالجنون «زاعما أن هذا يخالف العقل بالضرورة فلا يصدر إلا من مختل الإدراك وكأنه رأى أن الاستدلال بخالقيتهم وخالقية آباءهم عبث» (2).

هكذا حاول فرعون دحض حجج موسى عليه السلام بأن قدم حججا غير مناسبة، وليس من شأنها أن تنفي ما جاء به موسى عليه السلام من البيان والجزم على صحة ما يقول، فكانت حججه عليه السلام على سبيل الحقيقة الجازمة التي لا تقبل ردا أو شكاً.

4-5 - الحجاج الجماهيري:

«هو حجاج أصبح اليوم منتشرا خاصة في وسائل الاعلام المرئية والمقروءة، لذلك نجد توظيفها على الأصعدة التجارية والإشهارية كثيرا» (3)، ففي هذا الحجاج يتوجه المتكلم إلى جماعة معينة بغية إقناعهم بامر معين، فإذا تحمسوا له وتحركوا في سبيل إنجازه كان الحجاج أدى غايته المقصودة منه.

(1) الشعراء، الآية 23-28.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج9، ص 199.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 199.

4-6- مغالطة المسائل المتعددة:

«وهو ترجيح لجواب على سؤال يضم مسائل فرعية متعددة، فيبرز الجواب عندئذ على سبيل المصادرة على المطلوب، وإنما على سبيل الإجابة الشاملة، لكن المتكلم يصوغه، بحيث يبرز من خلاله المسألة التي يود ترجيحها على غيرها، ويُتعمل هذا النوع في المناظرات الكلامية والسياسية التي تدور بين المتنافسين، حيث يريد كل منهم أن يوقع بخصمه عن طريق الأسئلة والاستفسارات ذات الطابع المغالط»⁽¹⁾.

وهذه الأنواع التي سبق ذكرها تقع تحت ما يُسمى بالحجاج المغالط، «حيث تُبنى هذه الأنواع على المغالطة في تقديم الحجة»⁽²⁾، إذ يعتمد المتكلم على إيقاع المخاطب في شرك أقواله وأفعاله لتؤخذ كدليل وحجة عليه، وخروج المخاطب من شرك هذه المغالطة يعتمد بالدرجة الأولى على خبراته المعرفية ومكتسباته العلمية والثقافية التي يستخدمها كوسيلة للرد على حجة مخاطبيه.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أنواع الحجاج تأخذ في تصنيفها اعتبارات عدة، مثلاً باعتبار نوع الحقل الذي ينتمي إليه فهناك الحجاج الفلسفي والإعلامي والقضائي والجدلي السياسي، الديني وكذلك الحوارية، أما باعتبار نوع الحجة فنجد الحجاج المنطقي والعلمي، وكذلك اللغوي وغير لغوي «(اللغوي ويتمثل في مختلف الآليات السانية التي يعتمد عليها المحاجج، أما غير لغوي فيتمثل في وظائف كالإشارة والصوت ويُعرّف بالحجاج داخل اللغة كما هو عند ديكر»⁽³⁾.

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 199.
(2) نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، دار جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط)، (د.ت)، ص 106.
(3) عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ص 83.

5-العلاقات الحجاجية:

يقيم الحجاج علاقات مختلفة، وكل علاقة لها مجالها الخاص، إذ يمكن التعرف على وسائل وتقنيات الحجاج بعد أن نتعرف على هذه العلاقات.

5-1-علاقة التابع:

«يقع التابع إجمالاً على مستويين: أحدهما مستوى الأحداث، كما يرى "أوليفي روبول"، حيث تنغرس الحجة في الواقع لتنتهي ببداية إلى أحد الصنفين (الحجج) المؤسسة على بنية الواقع والحجج شبه المنطقية، وثانيهما مستوى أعمق من الأول يصل بالحجج فيما بينها، حيث تقتضي الحجة حجة أخرى تؤكدها، بالمعنى أن الحجة الثانية تؤكد الأولى»⁽¹⁾.

5-2-العلاقة السببية:

«تعد هذه العلاقة من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي، وهي في حقيقة الأمر ضرب خاص من العلاقات التتابعية، إذ يحرص المتكلم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام، دون الاكتفاء بتلاحق وتتابع طبيعي يجعل الأحداث والأفعال والأحكام متسلسلة، بل يعتمد إلى مستوى أعمق، فيجعل بعض الأحداث أسباباً لأحداث أخرى»⁽²⁾، ويسمى فعلاً معيناً بأنه نتيجة لفعل سابق في مجال الحجاج، إذا حدث هناك اقتناع وتأثير، أو أن يقدم الشخص أسباباً لقضايا معينة تكون سبباً مباشراً لنتائج لاحقة، ويمكن التمثيل لهذه العلاقة بالشكل

التالي:

الحجة (أ) ← النتيجة (ب)

(1) قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، ص 43.

(2) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيتة وأساليبه، ص 327.

الفصل الأول _____ الحجاج أنواعه وخصائصه

فالحجة (أ) تمثل سببا أو مجموعة أسباب للنتيجة (ب)، فالمثال التالي يوضح هذه العلاقة:



3-5- علاقة الاقتضاء:

تُعد علاقة الاقتضاء ذات طاقة حجاجية عالية، حيث تجعل الحجة تقتضي النتيجة، فتغدو العلاقة ضربا من التلازم بين الحجة والنتيجة وهو ما لا توفره سائر العلاقات الأخرى حتى العلاقة السببية، وأقدر الروابط الحجاجية على توفير هذا النوع من العلاقات، أدوات الشرط، ومن الضروري التنبيه رعلى أن علاقة الاقتضاء التي يوفرها أسلوب الشرط علاقة شكلية بالأساس، أي أن المتكلم متى عمد إلى جملة شرطية تقوم على شرط وأداة وجواب، فإنه يجعل الشرط يقتضي الجواب والعكس صحيح أيضا.

4-5- علاقة الاستنتاج:

تعتبر هذه العلاقة منطقية من خلال قيام الفرد باستنتاج العلاقات القائمة بين الأحداث والأشياء المعروضة عليه أو التي تطرح عليه، «أو لنقل هي مما يدين به الحجاج للمنطق، وهي في جوهرها خاصية من الخصائص التي تؤكد أن الحجاج في جانب من جوانبه يُعد فنا للانتقال من فكرة إلى أخرى بشكل منظم ومباشر، ذلك أن القوانين المنطقية خاصة نظامية من جهة، ومن جهة أخرى هي تعبير عن بعض أشكال أو عادات التفكير»⁽¹⁾

(1) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 335، ص 339.

6- خصائص النص الحجاجي:

ينظر التداوليون إلى الخطاب الحجاجي على أنه متميز بخصائص تواصلية تجعله مختلفاً عن غيره من الخطابات الأخرى الإخبارية، «كما أن صورته البنائية الاستدلالية والكلامية، وخضوعه لشروط القول والتلقي والمقام والرغبة في التأثير والفعل كلها تركز ذلك التميز من جهة، وتدعم من جهة أخرى انتماء الخطاب الحجاجي إلى مجال التداوليات⁽¹⁾، هذا ولقد أشار "بنو رنونا" أن ما يميز الخطاب الحجاجي ما يلي:

6-1- القصد المعلن: وهو البحث عن إحداث أثرها في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يعبر عنه اللسانيين بالوظيفة الإيحائية للكلام.

6-2- الخطاب الحجاجي في جوهره حوار مع المتلقي: هو حوار يقوم على علاقة معينة بين مؤسس الخطاب ومتلقيه، وهي علاقة دون شك تتخذ أشكالاً عديدة، يكشفها الخطاب ذاته باعتباره يراهن أحياناً كثيرة على إقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين لما جاء فيه.

6-3- الاستدلال: أين يتم فيه استخدام العقل، ذلك أن النص الحجاجي قائم على جانب من البرهنة وأعمال الفكر، «فيكون بناءه على نظام معين تترايط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة»⁽²⁾

6-4- وجهة الخطاب الحجاجي: «الخطاب الحجاجي خطاب غائي موجه، غايته القصوى إقناع المتلقي بما نحمله من أفكار، وما نعرفه من مواقف، ليحدث في نهاية المطاف أثر واضح فيه، إذ أن الهدف هو إقناع السامع، وهؤلاء المتلقين يتراوحون كيفياً من مجموعة من العوام المجتمعيين في الساحة العامة إلى الفرق الدقيقة التخصص والعالية الكفاءة»⁽³⁾

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 176.

(2) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص 26، ص 28.

(3) صابر الحباشة: التداولية مدخل ونصوص، ص 70.

الفصل الأول _____ الحجاج أنواعه وخصائصه

6-5-الانسجام والتناغم: فالنص الحجاجي نص متناغم يسوده الانسجام بين أقسامه الكبرى، وكذلك بين تفاصيله ودقائقه، فلا تنافر ولا تناقض بين المقدمات والنتائج، وبين البداية والنهاية، بين الاجزاء النفسية السائدة فيه ولا بين المعاني والصور، لأن كل تناقض أو تنافر يقوّض الحجاج ويجهز كل محاولة إقناع أو الحمل على الإذعان.

6-6-الحياد: «كلما أنكر الحجاج نفسه كان قويا ناجحا، فالنص الحجاجي وإن كانت غايته الإقناع أو الحمل على الإذعان لأطروحة أو فكرة دون إقناع حقيقي، فإنه يقدم نفسه على أنه نص موضوعي محايد لا يعرض إلا الحقائق ولا يسعى إلى فرض فكرة ما»⁽¹⁾

(1) سامية الدريدي: دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الادب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص 70.

الفصل الثاني

روافد الحجاج في خطابات

موسى عليه السلام

أولاً: المستوى اللغوي:

1. الروابط الحجاجية

2. التوكيد

3. التكرار

4. أفعال الكلام

ثانياً: مستوى المقام:

1. الآيات الموجهة إلى قومه

2. الآيات الموجهة إلى فرعون وملئه

أولاً: المستوى اللغوي:

تعدّ اللّغة الوسيلة الأساسية في عملية التّواصل الإنساني، إذ لا تقتصر وظيفتها في نقل المعلومات والمدرّكات الحسية الموجودة في العالم الخارجي، وإنّما تتعداه إلى التأثير الوجداني والعاطفي، وكذلك تعديل السلوك و الآراء والقيم، وحتى المعتقدات الدينية، وهذا إن دلّ على شيء، دلّ على ما لهذه الوسيلة من الأهمية البالغة في التأثير والإقناع وخير ما نستدل به في هذا المقام القرآن الكريم، فهو معجزة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، والتي جاءت معجزة لغوية متحدّياً بها أرباب البيان من فحول الشعراء والخطباء العرب، فمعجزته صلى الله عليه وسلم لم تكن كغيرها من معجزات الأنبياء الذين سبقوه لما لها من خصوصيات تنفرد بها، فالقرآن الكريم لم يأت معجزة حسية، وإنّما جاء معجزة لغوية، أُخرج بها النّاس من الظلمات إلى النور لما للغة من القوة في التأثير، والقدرة على الإقناع و إستمالة القلوب و إذعان العقول لتتقاد الى طريق الحق عن اقتناع وإيمان بعيداً عن منهج الإكراه والعنف، وهو المنهج الذي أمر به الله عزّوجل جميع أنبيائه بنهجه في الدعوة إلى توحيده. فكل نبيّ قد حاجّ قومه عن طريق اللّغة وانتهج أسلوب الحوار كمرحلة أولى من مراحل الدّعوة إلى دين الله، محاولاً بذلك استحضار أذهانالمخاطبين من الطغاة والمشركين من قومه، لرؤية مختلف الآيات الموجودة في هذا الكون والتي تجسّد قدرة الله سبحانه وتعالى، وتبرهن على وحدانيته، قبل إظهار المعجزات الحسية كمرحلة ثانية من مراحل الدعوة.

فاللغة والحوار إذاً من أهمّ والروافد التي يعتمد عليها المتكلم في عملية الإقناع

والتأثير، ولذلك فقد أمر الله تعالى نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالحوار مع

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

فرعون وقومه برفق ولين أثناء أداء رسالتهما الربانية إذ قال تعالى ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهِ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾»⁽¹⁾ والقول

اللين الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض، واستدعاء الامتثال. بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميزه بين الباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام تسفيه رأي المخاطب و تجهيله⁽²⁾، فالله تعالى قد أرشد موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى نهج حوارى خاص لابد عليهما من إتباعه في إقامة الحجّة و إبلاغ الدّعوة، «فالمقام لا يتناسب أبدا مع أسلوب الشدة أو استعمال القوة لأنه لا يوصل إلى الهدف المقصود، وهو الإيمان، بل ربما قد يزداد الموقف تعقيدا نتيجة التّحدي لاسيما مع فرعون الذي طغت مطامعه إلى أن ادعى الربوبية ذلك أنه كان ملك جبار وهياً له الله من أسباب القوة والسّلطان ما لم يهياً لغيره في زمانه، وقد طغى وتجبر وادّعا لألوهية... و ما تحدّث القرآن عن طاغية أو مدّع للألوهية مثلما تحدث عن فرعون»⁽³⁾

وهذا دليل على أهمية مراعاة المتكلم لخصائص متلقي الخطاب، سواء كانت خصائص نفسية أم معرفية، وكل ما يتعلق به من جهة، ومن جهة أخرى ، فالحوار إذا يعد أهم وسيلة لإدارة الحديث بين الأطراف المتحاجة، فهو بمثابة القاعدة الأساسية التي ينبني عليها الموقف الحجاجي « فالمسار الحجاجي كمل يرى برلمان حوارى تكون الحجج فيه كثيرة نسبيا تقدّم في شكل مقدمات توصل إلى نتيجة التسليم و الإقناع بالقضية المحمولة

(1) طه الآية 43-44.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص225.

(3) زينب مزارى: المناظرة في القرآن الكريم بحث في الأساليب، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2013، ص105-106.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

فيها»⁽¹⁾، حيث إنّ المحاجة لا تقوم على الأفعال لوحدها، و إنّما تفسح مجال الهيمنة والتّوجيه، كما أن التّبليغ القولي من أساسيات الدّعوة إلى الله، فموسى عليه السلام عندما أمره الله عزّ وجل أن يبلغ رسالته إلى فرعون و قومه جعل البيان وسلامة اللسان للنطق القاعدة الأساسية للانطلاق في الدعوة إلى دين الله ، إذ دعا الله أن يحققه له قال

تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي

﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾⁽²⁾ و العقدة أطلقت على عسر النطق بالكلام أو نقص

الحروف على وجه الاستعارة لعدم تصرف اللسان عند النطق بالكلمة وهي استعارة مصرّحة «⁽³⁾ فقد سأل موسى عليه السلام الله عزوجل سلامة وسيلة التّبليغ وهي اللسان، بأن يمنحه فصاحة التعبير والمقدرة على أداء غايته بأوضح عبارة لكي يفهم قوله المخاطبين الذين يوجه إليهم خطابه، ففي دعاء موسى عليه السلام (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) دلالة واضحة على أهمية اللّغة وأسلوب الحوار في عملية الحجاج و في التّأثير في المتلقين و كذلك في تبليغ المقاصد ذلك أنّهم « إن لم يفقهوا قوله، فقد انفصمت الرّابطة بينه و بينهم لانعدام وسيلة الاتّصال والتّفاهم»⁽⁴⁾ ، و لقد اختلف الفقهاء والمفسّرون حول سبب دعائه عليه السلام لحلّ تلك العقدة التي كانت في لسانه على رأيين «الأول: لئلا يقع في أداء الرّسالة خلل البتة، و الثاني : لإزالة التّفكير لأن العقدة في اللسان قد تقضي إلى الاستخفاف بقائها وعدم الالتفات إليه»⁽⁵⁾ ولذلك طلب

(1) محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعصرة، ص102.

(2) طه الآية 25-28.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص211.

(4) زينب مزارى: المناظرة في القرآن الكريم بحث في الأساليب، ص118.

(5) الرازي: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، (دب)، ط1 ، 1981 ، ج22 ،

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

عليه السلام الاستعانة بأخيه هارون، لأنه كان أفصح منه لساناً، قال تعالى ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾⁽¹⁾. وقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة أنه «ليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له صدقت، أو أن يقول للناس صدق موسى، وإنما هو أن يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل، ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار»⁽²⁾

و هنا تتضح أكثر أهمية اللغة و الحوار في عملية الحجاج فيما يولده من اقتناع لدى المرسل إليه الذي لا يتأتى له إلا باستعمال اللّغة مما يؤكّد أنّ نظرية الحجاج في اللّغة تنطلق من فكرة مفادها « أننا نتكلم عامة بقصد التأثير و أن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج»⁽³⁾، فالمتكلم في حوارهِ يقوم باختيار حجج تتناسب مع سياق الحجاج، ثم ليصغوها في قالب لغوي مناسب ليخاطب به عقل المرسل إليه، و على هذا النحو يقتضي القرآن الكريم باعتباره خطاباً حجاجياً بين مرسل و ملتق ظروف قول خاصة، و اختيارات دقيقة وهذا ما يدعونا إلى الخوض في شأن هذه الاختيارات و البحث عن وسائل الإستمالة و التأثير التي ترفد الحجج، فتضمن بذلك تحقيق غاية المرسل باقتحام عالم المرسل إليه و تغيير آرائه وسلوكه، لذلك فهو يقوم في حوارهِ-المرسل- باستخدام مجموعة من التقنيات والروافد اللغوية التي من شأنها أن تثري الحوار و تقويه و تجعله أكثر تأثيراً في متلقيه، وهذا الذي سنعمل على إبرازه في حوار سيدنا موسى عليه السلام

(1)القصص الآية 34.

(2)الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج24، ص249.

(3) أبو بكر العزاوي: اللّغة و الحجاج، ص249.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

أثناء حجاجه مع أطرف مختلفة (فرعون، قومه، الخضر عليه السلام) و التي تمثلت في:

1- الروابط الحجاجية:

«وهي عبارة عن مورفيم من صنف الروابط (حروف العطف والظروف)، فهي تربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، ولها وظيفتان:

أ- ترتبط بين وحدتين دلالتين أو أكثر.

ب- تقدم دورا حجاجيا للوحدات الدلالية التي تربط بينها» (1)

«كما أنها تدلّ على وجود علاقة منطقية بين القضايا والمستمع يلاحظ وجود هذه العلاقة المنطقية بين القضايا ليخضع ويسلم بها» (2)

1-1- الرابط الحجاجي الواو:

ذكر الله تعالى ما كان من المحاججة بين فرعون و موسى عليه السلام من جهة و مع قومه من جهة أخرى ، و ما أقامه موسى عليه السلام على فرعون من الحجة العقلية عندما أظهر الإنكار و عدم اعترافه بقدرة الخالق تبارك وتعالى و زعم أنه الإله ، قال تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْتَمِنُ

(1) قدور عمران: البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، ص37.

(2) حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ص50.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

عَلَى الطَّيِّبِينَ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لِأُظَنُّهُ مِنْ أَلْكَذِبِينَ

(1) ﴿ ٢٨ ﴾، فلذلك أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بدعوته إلى عبادة الله وحده لا

شريك له قال تعالى ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (2)، لتبدأ بذلك المحاجة القولية بينهما و التي وردت في العديد من آيات الذكر الحكيم، والتي سوف نقوم بعرضها بإتباع منهج يعتمد على دراسة السور التي شملت الطابع الحوارى و رصد كل الروابط الحجاجية التي تضمنتها و التي من بينها نذكر الذي له دور نحوي وآخر حجاجى تداولى، «ويعد من أهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب، بل يقوى الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، فالواو رابط حجاجى مدعم للحجج المتساندة، ويستعمل الواو حجاجيا، وذلك بترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، بل تقوى كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقى أفقيا، على عكس السلاالم الحجاجية» (3)، ويرى سيبويه أن الرابط الحجاجى الواو يفيد الجمع حيث يقول: «إنما جئت بالواو لتضم الآخر إلى الأول وتجمعهما» (4)

ولقد ورد هذا الرابط كثيرافى حجاج سيدنا موسى عليه السلام ومن بين المقامات التي ورد فيها نذكر :

(1)القصص الآية 38.

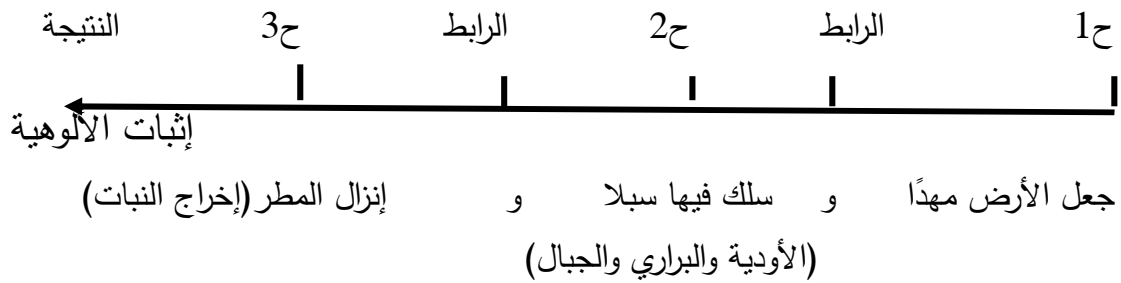
(2)طه الآية 24.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص472.

(4)سبويه:الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2 ، 1982 ، ج3 ، ص43

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ ﴿٥٣﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥٤﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٥﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٦﴾ (1)



ففي هذا المقام تلفظ موسى عليه بثلاثة ملفوظات تمثل دلائل وحججا على وجود الله وقدرته في هذا الكون، أول حجة (ح1) قوله (الذي جعل لكم الأرض مهدياً) والمراد من كون الأرض مهدياً أنه تعالى جعلها بحيث يتصرف العباد وغيرهم عليها بالقعود والقيام والنوم والزراعة وجميع أنواع المنافع وثانيها (سلك فيها سبلا) أي جعل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والأودية والبراري وثالثها (أنزل من السماء ماء) فأخرج به أنواع النباتات من زروع وثمار وحامض والحو « (2)

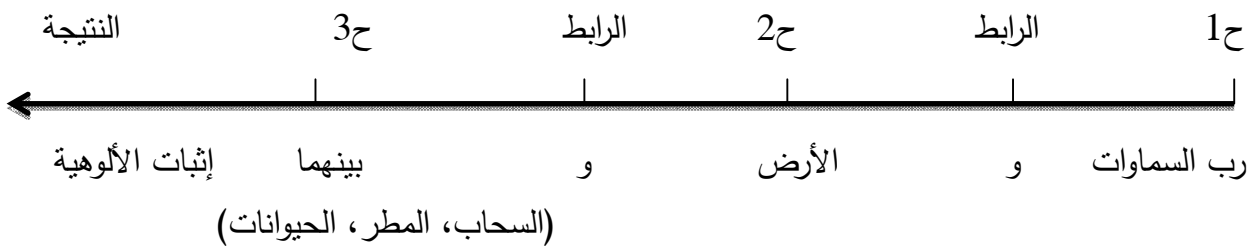
ولقد تم الربط بين هذه الحجج الثلاث بواسطة الرابط الحجاجي «الواو» الذي عمل على تماسكها وتربطها لتدعم كل واحدة منها الأخرى ولتصل إلى المقصدية المرغوبة وهي

(1) طه الآية 50-53.

(2) الرازي: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، ج 16، ص 68.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

التأثير في فرعون وملئه وحصول الاقتناع من خلال هذه الحجج التي تمثل دلائل على وجود الله، فلقد جاءت هذه الحجج مترابطة بعضها ببعض لتشكّل في مجموعها وتربطها قوّة حاجية موجّهة لحصول التأثير المقصود إذ عمل الرّابط الحجاجي الواو على الجمع بين هذه الحجج الثلاث لتشكّل طاقة حاجية عالية التأثير. كما يقدم لنا نص سورة الشعراء جانباً آخر من المحاجة القولية التي جرت بين موسى عليه السلام و فرعون الذي استنهم عن رب العالمين ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٠٤﴾﴾⁽¹⁾، وفي هذا المقام، قام موسى عليه السلام بتوجيه الأقوال توجيهاً حاجياً من خلال عرضه للمعطيات والحجج الموجودة في هذا الكون عن طريق استعمال تقنية الاستدلال بالتعريف، حيث توجّه إلى تعريف ربّ العالمين من خلال الآيات والعلامات الموجودة في هذا الكون، حيث تلفظ موسى عليه السلام بثلاثة استدلالات (رب السماوات و الأرض وما بينهما) تحمل طاقة حاجية تهدف إلى الإقناع و إثبات الألوهية لله سبحانه و تعالى.



فهذه الحجج الثلاث: -رب السماوات.

-والأرض.

(1)الشعراء الآية 22-24.

الفصل الثاني ————— روافد الحجج في خطابات موسى عليه السلام

وما بينهما.

تمثّل حججا تهدف إلى ما أراده من ظاهر قوله، فأتى بشرح اللفظ بما هو تفصيل لمضمونه، إذ قال عليه السلام ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ وبذلك حصل بيان حقيقة المسؤول عنه بما ، و يري الرازي أنه « لا يجوز تعريف الماهية باللوازم الخفية بل لا بد من تعريفها باللوازم الجلية و إظهار آثار ذات واجب الوجود هو هذا العالم المحسوس، وهو السموات و الأرض و ما بينهما» (1)

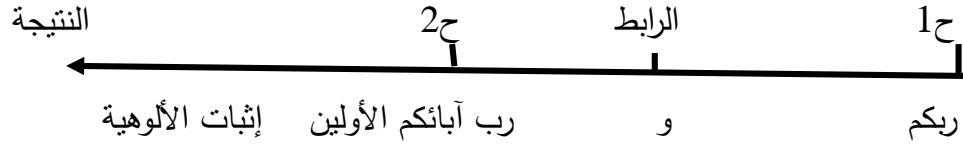
فموسى عليه السلام قد ضمّن هذه الحجج مقاصدا و دلالات يفهمها المتقنين للخطاب من خلال إعمال الفكر و إمعان النظر في هذه العلامات، فهو بذلك وجه مقاصده وجهة محددة تتناسب و مقام الكلام و ظروف المحاورة و التي تبرز قوة موسى عليه السلام الحجاجية و قدرته على استحضار الحجج التي تتلاءم مع السياق الحواري، و الذي دعم قوتها الحجاجية وجود الرّابط الحجاجي "الواو" الذي ربط بين كل واحد منها لتدعم كل حجة منها الأخرى و جعلها متساندة و مترابطة فيما بينها، إلا أن فرعون لم يقتنع بما استدل به موسى عليه السلام و ما قدمه من الحجج الدالة على وجود الله، ووجه خطابا لمن حوله من وزرائه قال تعالى ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (2) مقصديته في ذلك التهكّم بما جاء به موسى عليه السلام، و لذلك وجه موسى عليه السلام حججا أخرى لفرعون ومن حوله لا يمكنهم إنكارها، حيث استدل فيها بخلق آبائهم و أجدادهم من قبلهم رابطا بين كل حجة و أخرى عن طريق الرابط الحجاجي "الواو" الذي عمل على

(1)الرازي: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، ج 24، ص 128.

(2)الشعراء الآية 25.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

الوصل بين هذه الحجج المتساندة لتشكل قوة حجاجية في ترابطها و اجتماعها مع بعضها البعض، قال تعالى ﴿قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (1)



فعندما رأى موسى عليه السلام إعراض فرعون عن دعواه و عدم اقتناعه، تجاوزه إلى من حوله حين رأى أنهم جميعاً لم يهتدوا إلى الاقتناع «بالاستدلال على خلق العوام الذي ابتدأ به، إذا هو أوسع دلالة على وجود الله تعالى و وحدانيته... فنزل بهم إلى الاستدلال بأنفسهم و بآبائهم أقرب إليهم و أيسر استدلالاً على خالقهم، فالاستدلال الأول يمتاز بالعموم و الاستدلال الثاني بالقرب من الضرورة، فإن كثيراً من العقلاء توهموا أنّ السموات و الأرض قديمة واجبة الوجود، فأما آباءهم فكثير من السامعين شهدوا انعدام الكثير من آباءهم بالموت و كفى به دليلاً علنا انتقاء القدم الدال على انتقاء الألوهية» (2)

فمجموع هذه الملفوظات والاستدلالات التي احتجّ بها موسى عليه السلام على فرعون و من حوله ذات طاقة حجاجية عالية و مشحونة بمقاصد و دلالات هدفها إثبات وحدانية الله و وجوده من خلال خلقه، وقد وجهت إليه بعد أن أحاط موسى عليه السلام بخصائص فرعون النفسية و المعرفية، حيث لجأ إلى استعمال الاستدلال بالتجزئة حيث عرف الله بقدرته و آياته، إلا أنّ فرعون أنكر كل مرة و أبى الإيمان بهذه الآيات و احتج على موسى عليه السلام بحجاج يصنّف «تحت ما يسمى بالحجة الباطلة القائمة على

(1) الشعراء الآية 26.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التتوير، ج18، ص120

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

المغالطة»⁽¹⁾، قال تعالى ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾⁽²⁾

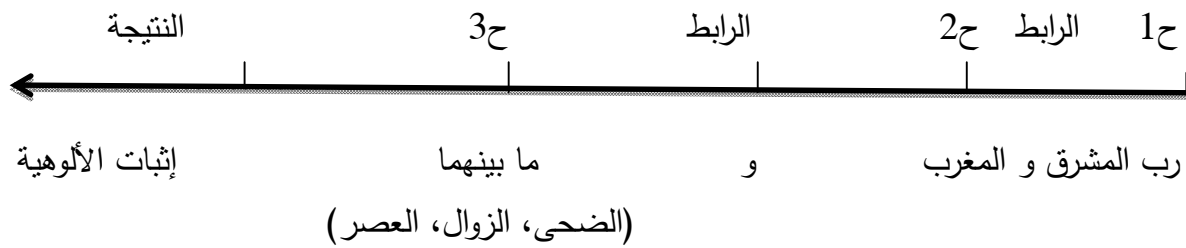
،حينها قام موسى عليه

السلام بتوجيه استدلال آخر وجّهه حجاجيا للنظر في الآيات التي يشاهدها كل فرد في هذا

الكون و بصفة يومية ، وقد قام بالوصل بين كل علامة حجاجية وأخرى عن طريق الرابط

الحجاجي "الواو" قال تعالى ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا^ط إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁽³⁾

﴿



فبعد عدم إقتناع متلقي خطابه بالحجج التي إستدل بها من خلق السماواتوالأرض والكواكب،وكذلك الاستدلال بخلقهم وخلق آباءهموأجدادهم «انتقل إلى ما لا قدرة لهم بجده وهو التصرف العجيب المشاهد مرتين كل يوم.... والمشرق والمغرب يجوز أن يراد بهما مكان شروق الشمس ومكان غروبها في الأفق، أما بينهما فهو الضحى والزوال والعصر والاصفرار»⁽⁴⁾

(1) إدريس أوهنا: أسلوب الحوار في القرآن الكريم الموضوعات والمناهج والخصائص، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المغرب، ط 1، 2005، ص68.

(2)الشعراء الآية 27.

(3)الشعراء الآية 28.

(4) محمد الطاهر عاشور: التحرير والتنوير، ج18، ص121.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

والملاحظ هنا بعد عرضنا لجملة هذه الشواهد أن الرابط الحجاجي "الواو" في هذه الآيات قام بالوصل بين الحجج، كما قام بترتيبها لتقوية وتدعيم النتيجة، فبذلك الحجج جاءت مترابطة غير منفصلة كل حجة تساند وتقوي الأخرى وتدعم بعضها البعض في اتجاه حجاجي واحد لتحقيق النتيجة الهدف وهي إثبات الألوهية لله سبحانه وتعالى، وقد عاد هذا التماسك والانسجام بين الحجج عن طريق الرابط الحجاجي "الواو".

ومما يجب الإشارة إليه في هذا المستوى ضرورة قيام المتكلم باختيار حججه و ملفوظات أثناء دخوله في عملية الحجج ليقوي بذلك موقفه ويستطيع بعدها اقتحام عالم المتلقي والتأثير فيه و ما يؤكد في هذا المستوى أهمية اختيار المتكلم للألفاظ أثناء عملية الحجج، ما كان في جواب موسى عليه السلام حين وصفه فرعون بالجنون، عندما غابت عليه الحجة، و أدرك ما تحمله تلك الحجج التي أتى بها عليه السلام من القوة و البيان قال تعالى ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٧٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾⁽¹⁾، فموسى عليه السلام جعل الملفوظ

(إن كنتم تعقلون) مقابل ملفوظ فرعون (إن رسولكم لمجنون) «لأن الجنون يقابله العقل... فقال (إن كنتم تعقلون) أي إن كنتم أنتم العقلاء فلا تكونوا أنتم المجانين»⁽²⁾

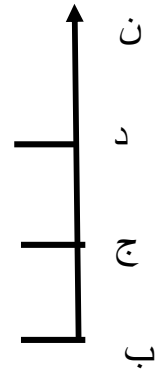
ذلك أن المتكلم في حوارهِ يعتمد إلى اختيار حجج تتناسب مع السياق اللغوي العام، ثم يصوغها في قالب لغوي مناسب يخاطب بها العقل المرسل إليه حيث «أنا لانتقاء قانون حجاجي عام يعني الاختيار الدقيق والواعي لدقائق الخطاب»⁽¹⁾

(1) الشعراء الآية 27-28.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج18، ص122.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

و على هذا النحو يقتضي القرآن الكريم باعتباره خطابا حجاجيا بين باث و متلقي ظروف قول مخصوصة واختيارات دقيقة تنسجم مع ظروف القول و ملابساته، لكي تضمن تحقيق مقاصد المرسل في التأثير على المرسل إليه و تغيير سلوكه و آرائه و قيمه عن طريق التوظيف الدقيق والواعي لتلك الاختيارات اللغوية أثناء إنتاجه للخطاب، للتأثير في المرسل إليه «مما يؤكد أن نظرية الحجاج في اللغة تتطرق من فكرة مفادها أننا نتعلم عامة بقصد التأثير»⁽²⁾، و يمكن تمثيل هذه الحجج التي وردت في حوارهِ عليه السلام في السلم الحجاجي الذي هو «عبارة عن علاقة ترتيبية للحجج نرّمز لها كآتي:



تمثل ن النتيجة أما "ب" و "ج" و "د" فمجموع الحجج و الأدلة التي تخدم النتيجة، و يتسم السلم الحجاجي بسمتين:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة لـ "ن".

(1) سامية الدر يدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه، ص102.

(2) أبو بكر العزاوي: اللغة و الحجاج، ص458.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

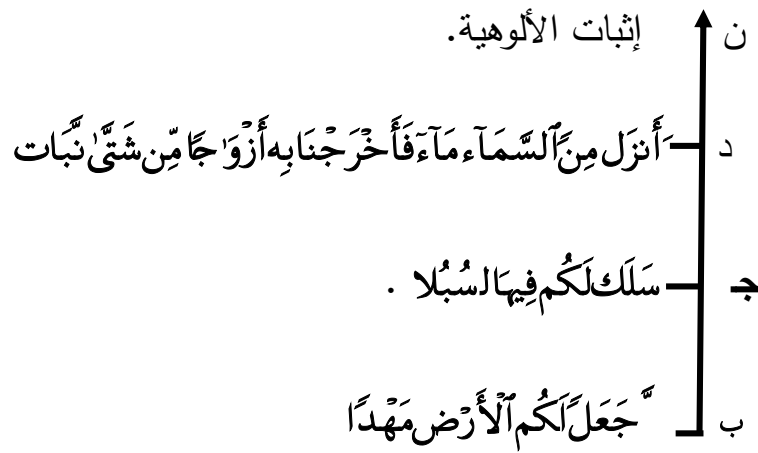
ب- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها و العكس غير صحيح»⁽¹⁾

قال تعالى:

1- ﴿لَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾

2- ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا السُّبُلًا﴾

3- ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ شَتَّىٰ نَبَاتٍ﴾



قال تعالى:

- ﴿قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُومَ مُوقِنِينَ﴾

(1) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، 20-21.

- رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ ﴿

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿

ن إثبات الألوهية.

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿

ج رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ ﴿

ب رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

والملاحظ أن مجموع هذه الحجج التي وجهها موسى عليه السلام لمخاطبيه تتدرج كل مرة في قوتها ضمن سلم حجاجي تصاعدي.

كما استعمل عليه السلام هذا الرابط الحجاجي في حجاجه مع قومه إذ قام موسى عليه السلام بحجاج قومه الذين أنكروا وجود الله وقدرته واتجه في ذلك إلى استعمال اللغة والحوار كمرحلة أولى في هذه المحاجة ، التي استعملها في مقامات الحوار المختلفة، حيث ذكر القرآن الكريم ما ورد من هذه المحاورة والتعنت الذي صدر من قومه الجاحدين و المنكرين لقدرته ووجوده عزوجل، لذلك لجأ موسى عليه السلام إلي التلقظ أثناء حوارهِ مع قومه بالعديد من الملفوظات الحجاجية المشحونة بمقصدية موجّهة لإحداث و التأثير المقصود و التي تضمّنت الرابط الحجاجي الواو للجمع بين الحجج التي حاجّهم بها:

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ ادُّكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ (1)

ح1 الرابط ح2 الرابط ح3 النتيجة

اثبات الألوهية ←

جعل فيكم أنبياء و جعلكم ملوكا و آتاكم ما لم يؤت أحد من العالمين (المن، السلوى)

وهنا نلاحظ ان موسى عليه السلام انتهج في حجاجه مع قومه منهجا خاصا، اعتمد فيه على تذكيرهم بما منّ الله عليهم من النعم، و التي خصّهم بها دون سائر الأمم الأخرى حيث أن خطابه الوارد في هذه الآية الكريمة مقصدية تكمن في محاولة استحضار أذهانهم و دعوتهم إلى إعمال فكرهم من خلال تذكيرهم بمختلف النعم التي منّ بها الله عليهم، لأن هذا التذكير يتناسب و السياق المقامي الذي يتركز على تعارض و اختلاف الأطروحات بين موسى و قومه لتكون هذه النعم حججا عليهم «إذ لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء (جعل فيكم أنبياء) و كذلك قوله (وجعلكم ملوكا) لأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء، ثم ذهب إلى تذكيرهم بثالث هذه النعم في قوله (ما لم يؤت أحد من العالمين) من فلق البحر و إغراق العدو و تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى و غير ذلك من الأمور العظام» (2)

و يظهر دور الرّابط الحجاجي "الواو" هنا في الجمع بين ثلاثة حجج: الأولى كثرة الأنبياء الذين بعثوا من بني إسرائيل و الثانية: أن الله عزوجل جعلهم ملوكا، أما الحجة الثالثة فتمثلت أن الله أيدهم بالنصر على العدو و ساق إليهم الرزق من إنزال المن و السلوى، فقد جاءت هذه الحجج متساندة و مترابطة تشكّل في ترابطها واجتماعها بعضها ببعض قوّة

(1) المائدة الآية 20.

(2) الزمخشري: الكشاف، ج 1، ص 603.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

حجاجية تحمل طاقة حجاجية عالية في مقام الحوار والتذكير، كما أنها تعتبر بمثابة مقدمات لنتيجة ألا وهي دخول الأرض المقدسة التي أمرهم بدخولها، قال تعالى ﴿يَقُومِ

أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ

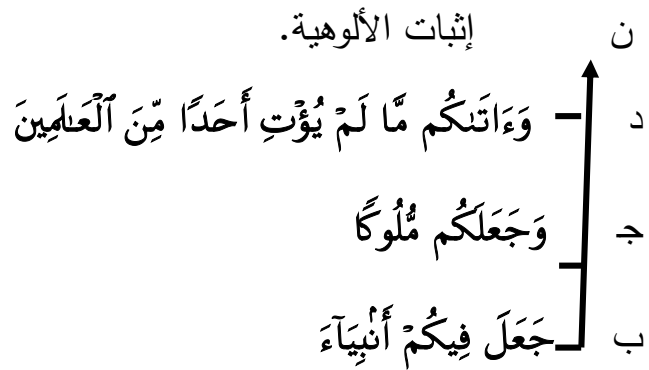
﴿١﴾ «والربط بين المقدمة و النتيجة بالانتقال من إحداهما إلى الأخرى في تسلسل

معين و باستعمال أدوات لغوية هو ما يسميه "برلمان" بالحجة التداولية و هي الحجة التي تمنح فرصة التقويم لعمل ما أو حدث و ذلك بالنظر إلى تبعاتها المرغوبة...و يتجاوز

المرسل بها إلى توجيه السلوك و الفعل المستقبلي» (2)

وهذه الحجج التي تلفظ بها عليه السلام تتفاوت وتختلف قوتها من حجة إلى أخرى وهذا ما يوضّحه السلم الحجاجي، الذي يبرز استعمال موسى عليه السلام لآلية التدرج في

إدراج الحجج ضمن سلم حجاجي تصاعدي يوضّحه الرسم التالي:



والملاحظ هنا أنّ الحجة الثالثة (د) تبدو أقوى الحجج لأن الله سبحانه وتعالى أتى بني إسرائيل ما لم يؤتته لأمة أخرى من قبلهم من النعم من إنزال المن والسلوى وخلق البحر فهذه

(1) المائدة الآية 21.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 481.



الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

النعمة تعد من المعجزات الكبار التي خص بها عزوجل على بني إسرائيل وتمثل دليلا على قدرته وقوته.

وبعد عرض هذه الشواهد التي وردت في حجاجه عليه السلام يمكن القول إنه استعان بالرابط الحجاجي "الواو" الذي عمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض بوصفه رابط حجاجي جمع بين الحجج في مقامه المناسب الذي يؤدي إلى بناء الخطاب بناء حجاجيا ورافدا هاما من روافد الحجاج اللغوي

1-2- الرابط الحجاجي "بل":

تعد بل من الروابط الحجاجية التداولية التي لقيت اهتماما كبيرا لا سيما عند "ديكرو وأنسكومبر" اللذين ميّزا في دراستهما للأداة (mains) بين الاستعمال الحجاجي والاستعمال الإبطلائي⁽¹⁾، وتكمن حجاجية "بل" في أن «المرسل يرتب بها الحجج المتعاكسة وذلك لأن بعضها منفي وبعضها مثبت»⁽²⁾

ولقد ورد هذا الرابط في حجاج موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة في مقام التّحدي والمواجهة حيث وجّه عليه السلام أثناء حجاجه لهم ملفوظ مقترن بالرابط الحجاجي بل ليقينه ببطلان ما يدّعون، وهذا ما توضّحه الآية الكريمة، قال تعالى ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَٰئَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾  قَالَ بَلْ أَلْقُوا ^ط فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ مُخِيلٌ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَىٰ  ⁽³⁾

(1) أبو بكر العزاوي: اللغة و الحجاج، ص 57.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 514.

(3) طه الآية 65-66.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

ففي قوله عليه السلام (بل ألقوا) دلالة على التحدي و إقرار بقوة الحجة التي أتى بها، و قدرتها على إبطال فعل سحرة فرعون لذلك عبر عن هذه القوة الحجاجية بالملفوظ (بل ألقوا) ليقينه بالقوة الحجاجية التي سيقدمها. وكما يذهب المبرد أن بل معناها «الاضطراب عن الأول والإثبات للثاني»⁽¹⁾ فالرابط الحجاجي (بل) في هذا المقام عمل على تدعيم تقديم حجة كانت أقوى من حجج سحرة فرعون، فالرابط بل هنا حرف اضطراب أفاد إبطال دعواهم.

2- التوكيد:

يعد التوكيد أحد أساليب اللغة العربيّة وهو: « تابع يزيل عن متبوعه الشك و احتمال إرادة غيره، أو عدم إرادة الشمول و هو قسمان: توكيد لفظي مثل تكرار الاسم و الضمير و الأداة، و توكيد معنوي مثل كلتا، كل، جميع، كما توجد أساليب أخرى للتوكيد تخرج عن هذين القسمين منها التوكيد بالنون الثقيلة أو الخفيفة، القسم و إنّ »⁽²⁾

وقد تضمنت المواجهة القولية التي جرت بين موسى عليه ومختلف الأطراف التي حاججها على عدد من هذه الأدوات ومن بينها أداة التوكيد (إنّ)، «التي لها وظائف نحوية وأخرى حجاجية إقناعية، فنحويا تدخل على جملة قوامها المبتدأ والخبر فتتصبب الأول ويبقى الثاني مرفوعا، والأصل فيها إفادة توكيد نسبة المسند إلى المسند إليه.... وقد

(1) محمد أحمد خضير: الأدوات النحوية ودلالاتها في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 2001، ص43.

(2) محمد حسني مغالسة: النحو الشافي الشامل، دار الميسرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص472.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

تدخل إنَّ على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التوكيد، كما تفيد في دخولها على كلام يعلّل ما قبله و يبيّن سببه و يقوّيه على جهة الاحتجاج به»⁽¹⁾

«وفي الحجاج تكون (إنّ) مما تقدّم للتدعيم الذي تسبقه النتيجة وفق المخطط الآتي:

النتيجة → ————— إنّ، فالأداة إن تشكل حجاجا تنازليا ينطلق من النتيجة ليقدم بعدها التدعيم»⁽²⁾

و سنقف هنا أمام الآيات التي وردت في مقام المحاجة التي كانت بين موسى عليه السلام و قومه و كذلك فرعون من جهة و الخضر عليه السلام من جهة أخرى لنعرض من خلالها الجانب الحجاجي الذي يمثّله أسلوب التوكيد في خطابه، ومن أمثلة استعمال عليه السلام أسلوب التوكيد أثناء حجاجه نذكر قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَبُوا بقرَةً^ط قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا^ط قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ^ط﴾⁽³⁾

فقد تصدر خطاب سيدنا موسى لقومه أداة التوكيد "إنّ"، لما اشتمل عليه مدلول كلام الله تعالى لموسى عليه السلام من تحقيق إرادته، و إظهار معجزاته الموجهة إلى بني إسرائيل و تنزيلهم منزلة المنكرين لما بدا من تعنتهم، فأكدّ عليه السلام الخبر الموجّه إليهم بأداة التأكيد (إنّ) لأنه كان على يقين من إظهار الله سبحانه وتعالى لمعجزته الخارقة والتي

(1) محمد طاهر الحمصي: مباحث في علم المعاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، (د ب)، ط2، 1996، ص116.

(2) حمدي جودي منصور: استراتيجية الحجاج التعليمية عند الشيخ البشير الابراهيمي مقال الأخلاق نموذجاً، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع 10، 11، 2012، ص 38

(3) البقرة الآية 67.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

تمثل علامة حجاجية ذات طاقة حجاجية عالية «حيث كان في بني إسرائيل شيخ موسى فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه و طرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بديته، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة يضربون ببعضها ليحي، فيخبرهم بقاتله فقالوا أتخذنا هزواً أتجعلنا مكان هزواً... و السؤال عن حالها وصفتها، و ذلك أنهم تعجبوا من بقرة مينة يضرب ببعضها ميت فيحيا» (1)

و تأخذنا روعة السياق القصصي في القرآن الكريم فنرصد في سورة يونس شاهد آخر من محاوره موسى عليه السلام لفرعون المعاند و المنكر لوجود الله عز وجل والذي حاول إقناع قومه باتخاذها إلهاً بشتى الوسائل والطرق لذلك كان من المواجهة و الحجاج بينه وبين موسى عليه السلام في مقامات مختلفة حسب ما تتطلبه الظروف والأحداث ومنها ما كان في المحاجبة الخاصة بحادثة السحر، قال تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلْقُونَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ (2)

فمن أجل تقوية المعجزة وتأكيد الخبر الحجاجي أكد موسى عليه السلام الملفوظ بأداة التأكيد "إن"، وقد قال محمد الطاهر بن عاشور في شأن هذا التأكيد الوارد في هذه الآية الكريمة «وتأكيد الخبرين وذلك لزيادة إلقاء الرّوع في نفوسهم وإبطاله يعني إظهار

(1) الزمخشري: الكشاف، ص286.

(2) يونس الآية 79-81.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

أنه تخيل ليس بحقيقة» (1) فأداة التأكيد إنّ هنا شكلت حجاجا تنازليا ينطلق من النتيجة ليقدم بعدها التدعيم، وهذا ما يوضّحه المخطط الآتي:

إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين → إنّ الله سيبيطله

«فجملة (إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين) معترضة وهي تعليل لمضمون جملة (إنّ الله سيبيطله)» (2)

وفي سورة طه نلمح شاهدا آخر، أكد فيه موسى عليه السلام قوله بأداة التأكيد "إن"

قال تعالى ﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمَكُمْ^{هـ} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٣٠﴾ (3)

فقد أكد موسى عليه السلام قوله بأداة التأكيد "إن" بعدما تساءل فرعون عن حقيقة الله والمنكر له والجاحد لوجوده ونعمه وهذا كله من موسى احتجاجا على فرعون في إثبات الصانع جوابا لقوله (فمن ربكما يا موسى) و«يتبين أنه إنّما يستدل على الصانع اليوم بأفعاله» (4)

كما نجد توظيف أسلوب التوكيد في حجاج موسى و الخضر عليهما السلام إذ أكد الخضر عليه السلام على عدم قدرة الكليم على الصبر على ما لم يحط به من علم قال تعالى ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (5) و قد جاء القول مؤكدا بأداة التأكيد "إن" لعلم

(1) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج10، ص256.

(2) المصدر نفسه، ج10، ص256.

(3) طه الآية 54.

(4) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16، ص120.

(5) الكهف الآية 67.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

الخضر عليه السلام عدم قدرة موسى عليه السلام قبول ما لم يحط به خيرا و المنكر لبعض أفعاله وذلك لإحاطة الخضر عليه السلام بخصائص موسى النفسية والمعرفية (عدم قدرته على الصبر و كذلك رغبته في طلب العلم و التمكن منه)، ذلك أنّ الكلام المؤكد يوجّه من خلاله المتكلم الخطاب إلى السامع قاصداً بذلك إزالة التردد و الإنكار من نفسه.

وكخلاصة يمكن القول أنّه لقد شكل التوكيد ركنا أساسيا ورافدا مهمّافي بناء الخطاب الحجاجي في محاوره موسى عليه السلام، حيث أضفى على الخطاب طاقة حجاجية وتأثيرية عملت على زيادة طاقة الخطاب الإقناعية في مقامها الحجاجي للوصول للمقصدية المرغوبة.

3- التكرار:

يعد التكرار ظاهرة لغوية قلما نجد نصّاً يخلو منها، أو نجد خطابا لا يستعين بها، وقد رصدها البلاغيون وعلماء اللغة فوجدوها أنواعا شتى كتكرار الحرف وتكرار الكلمة وتكرار الجملة وتكرار المعنى، وكلها تؤدي دورها سواء الفني أم البياني بحسب السياقات والمقامات التي تقال فيها.

والتكرار يعرف بأنه «عبارة عن إعادة كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها، إما للتوكيد أو لزيادة التنبية أو التمويل أو التعظيم أو التلذذ بذكر مكرر»⁽¹⁾

(1) عصام شرتح: جمالية التكرار في الشعر السوري المعاصر، رند للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1 2010، ص13.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

كما عرف ابن معصوم التكرار بأنه « عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ و المعنى لنكته»⁽¹⁾، و قد وظّف القرآن الكريم التكرار توظيفاً رائعاً، و بصور و أشكال عدة، و في مقامات مختلفة حيث عدّ وجهاً من وجوه إعجازه، بوصفه أبلغ من التأكيد، و لاشك أن للتكرار وظيفة تتجاوز وظيفة الإخبار و الإبلاغ إلى وظيفة التأثير و الإقناع بما يثير من دلالات الإلحاح و المبالغة في التأكيد بل قد تؤدي بعض حالات التكرير إلى تغيير سلوك وقيم المتلقي، و هذا ما دفع بـ "جونستون كوتش" Kotch إلى القول « بأن خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على الغرض اللغوي للدعوي الحجاجية بتكريرها و صياغتها موازية و إلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة»⁽²⁾ وتكون حجاجية التكرار هنا تابعة لغرض المحاجج ومقاصده التي يريد بثّها لمتلقي الخطاب، كغرض الاستمالة والتأثير أو الوعظ أو الترغيب أو الترهيب أو للتأكيد واتخاذ الحجة، لذلك نجد أنّ توظيف التكرار في الخطاب القرآني يأتي لتحقيق هذه المقاصد، ولقد وردت هذه التقنية - التكرار - في حجاج موسى عليه السلام لما لها من دور وأهمية في عملية التأثير والإقناع ولوصول عملية الحجاج إلى الهدف المطلوب. ومن أمثلة ورود هذا الأسلوب في حجاجه عليه السلام نذكر:

(1) فهد ناصر عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004 ص21.

(2) حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، ص20.

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ
وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَانَكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ يَنْقُومِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ
الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾⁽¹⁾

ففي محاجة سيدنا موسى عليه السلام لبني إسرائيل بدأ المحاورة بالنداء و الذي تصدرها في قوله: (يا قوم) حيث تكرر اللفظ مرتين، مقصديته في ذلك زيادة استحضر أذهانهم و تذكيرهم بنعم الله عزوجل عليهم للوصول إلى الهدف من المحاورة، و لقد ذهب محمد بن حمزة الكرمانى في شأن هذه الآية ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ «أن التصريح باسم المخاطب مع حرف الخطاب يدل على تعظيم المخاطب به ولما كان في هذه السورة نعما خاصة ما عليها من مزيد و هو قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَانَكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ صرح فقال: (يا قوم) و لموافقة ما قبله و ما بعده من نداء و هو يا قوم أدخلوا الأرض المقدسة...»⁽²⁾

(1)المائدة الآية 20-21.

(2) محمد بن حمزة الكرمانى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: أحمد عطا، دار الفضيلة، ص 99.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

إذ لعب التكرار هنا دورا هاما في الخطاب الحجاجي وذلك من خلال التريديد الذي أحدثه موسى عليه السلام أمام قومه لإبراز شدة حضور الفكرة التي يهدف إيصالها إليهم و من أجل ذلك يقول برلمان «يكون التكرار التقنية الأكثر بساطة لإنشاء هذا الحضور»⁽¹⁾

إن الدراسات الدائرة حول الحجاج و أفانينه تجمع على أهمية الدور الحجاجي الذي يضطلع به أسلوب التكرار، إذ يعد رافد أساسيا يرفد هذه الحجج التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما بمعنى أن التكرار يوفّر طاقة مضاعفة تحدث أثرا واضحا في المتلقي و تساعد على إقناعه أو حمله على الإذعان، ذلك أنه يساعد أولاً على التبليغ و الإفهام و يعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فإذا ردد المتكلم لفكرة أو لحة ما، أدركت مراميها و بانّت مقاصدها و رسخت في ذهن المتلقي، « فمن ناحية المضمون تؤدي آلية التكرار أغراضا تداولية مختلفة تعليمية ووعظة و تذكيرية، فآلية التكرار تحقق الإفهام و التوكيد... و التوكيد قصد تداولي واضح»⁽²⁾

و هذه المقاصد التداولية ظهرت في حجاج موسى و الخضر عليهما السلام حيث قام موسى عليه السلام بتبليغ مطالبه إلى الخضر و المتمثل في إتباعه من أجل أخذ العلم منه، قال تعالى ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾⁽³⁾، و لقد أحاط

بذلك الخضر عليه السلام بمقصديه كليم الله و أدرك مقوماته الشخصية مثل عدم قدرته على الصبر على الأمور التي يجهلها والتي لم يكن له علم بخفاياها، من خلال تلفظه بجملة (إنك

(1) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 80.

(2) جمال الحضري: المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، ص 243.

(3) الكهف الآية 66.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

كلامية.⁽¹⁾ ذلك أن التلفظ بالخطاب لا يمكن اعتباره مجرد مجموعة من الأصوات فحسب أو «فعلا صوتيا فقط، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، وقد تبلورت نظرية الأفعال اللغوية في الدرس المعاصر وبشكل أولي عديد «أوستين» ثم ضبطها بعده «سيرل».⁽²⁾

«وقد اقترح «غرايس» ترميضا للعبارات اللغوية التي تقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى:

1- معاني صريحة وهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها.

2- معاني ضمنية وهي التي لا تدل على صيغة الجملة بالضرورة ولكن للسياق

دخلا في تحديدها والتوجيه إليها وتشمل معاني حوارية والتي تتولد طبقا للمقامات

التي تنجز فيها الجملة مثل الدلالة الإستلزامية»⁽³⁾

ومن المعلوم أن للفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب ومن أهمها الوظيفة الحجاجية ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتي الإقناع والتأثير وقد ورد في حجاج موسى عليه السلام العديد من أنماط أفعال الكلام بالاختلاف صيغتها وأغراضها (أمر و نهى و استفهام ونداء) والتي سوف نقوم بعرضها فيما يلي: ونخص منها ما كان في السياق الحجاجي، ومن بينها نذكر:

(1) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص10.

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص74.

(3) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، في التراث الثاني العربي، ص12.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

4-1-النداء:«يعد النداء فعلا كلاميا توجيهيا لأنه يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل، ذلك لأنه أول فعل يمكن أن يقوم به مرسل الخطاب»⁽¹⁾و لقد ورد هذا الفعل التوجيهي في حجاج موسى عليه السلام لقومه أثناء دعوتهم لهم إلى الإيمان بالله عزوجل، و تذكرهم بمختلف النعم التي من بها عليهم، قال تعالى﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ آذُكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ لِقَوْمِهِمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ آدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾⁽²⁾

فأول ما بدأ به موسى عليه السلام هنا حجاجه مع قومه بالفعل التوجيهي النداء مقصديه في ذلك جلب انتباههم واستحضار أذهانهم لتذكّر تلك النعم العظيمة التي منّ بها عليهم دون سائر الأقسام الأخرى، وقد استعمل هذا الفعل الكلامي مرتين، ما له من أهمية في عملية الحجاج والتأثير في المتلقي الخطاب.

4-2-الاستفهام:

عرف يحي العلوي الاستفهام بقوله:«ومعناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام...ولأسلوب الاستفهام حقيقيا أو مجازيا أدوات موضوعية له هي: الهمزة، ما، من، أي، كم، كيف، متى، أيان»⁽³⁾ومن الناحية التداولية يعد الاستفهام«من الأفعال

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص80.

(2)المائدة الآية 20-21.

(3)محمد الطاهر الحمصي: مباحث في علم المعاني، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية، دبي، ط2، 1996، ص160.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

الكلامية التوجيهية التي تسير الخطاب تجاه ما يريد المرسل، ويستعمل حسب القصد الذي يتناسب سياق الخطاب.»⁽¹⁾

ولقد ورد الاستفهام في خطابات موسى عليه السلام في عدة مواضيع وتنوعت مقاصده تبعا لتنوع السياقات التي ورد فيها ومن أمثله نذكر:

قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ أَحْبَبُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِنْدَ الْبَحْرِ الَّذِي حَقَّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾﴾⁽²⁾

لقد وجّه موسى عليه السلام استفهاما في قوله (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) و يمثل هذا الاستفهام فعلا كلاميا غير مباشر تتمثل قوته الإنجازية في التوبيخ و التعجب « و هو توبيخ شديد لأنه جرده من المقنعات و عن الزجر و اقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ و في استبدال الخير بالأدنى»⁽³⁾ و أسلوب الاستفهام هنا يمثل حججا في حد ذاتها ، كما أنه فعل حجاجي « بالقصد المضمّر، وفق ما يقتضيه السياق فالمرسل يدرك كما يدرك المرسل إليه أيضا أن هذه الأسئلة ليست استفهاما عن مجهول، و لذلك فهي حجج باعتباره قصد المرسل و باعتبار الصياغة و

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص383.

(2) البقرة الآية 61.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص523.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

المعنى»⁽¹⁾، كما ورد الفعل الكلامي الاستفهام أيضا في حجاجه عليه السلام مع فرعون الذي كان منكرا لوجود الله عز وجل و الذي استفهم عن وجوده قال تعالى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، حيث قام فرعون بتوجيه ملفوظه إلى موسى و هارون عليهما

السلام مقصديه في ذلك طلب العلم و هو سؤال حقيقي يمثل فعلا كلاميا مباشرا و هذا ما أوضحه ابن عاشور في التحرير و التنوير بقوله: « أن هذا الاستفهام حقيقي و أن فرعون قد استفهم حقيقة عن رب العالمين»⁽³⁾، و لما حاجه موسى عليه السلام بمختلف الحجج و البراهين و كذلك المعجزات الخارقة اتهمه بالسحر و ظلّ منكرا للآيات التي كان يقدمها عليه السلام قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾⁽⁴⁾ قال موسى ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾⁽⁵⁾ فعندما رأى فرعون و ملئه المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام التي هي حق ثابت لاتخيلات، رفضوا الإيمان بها و استكبروا، فوجّه عليه السلام إليهم استفهاما إنكاريا تمثل في قوله (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) فالملفوظ (أتقولون) يمثل استفهاما إنكاريا موجّه حجاجيا، وهذا الأسلوب كثير الورد في المناظرات الكلامية و المقامات الحجاجية، حيث يهدف من خلاله المتكلم إضعاف دعوى من تلقّظ بالخطاب، كما نرصد في هذه الآية استفهاما آخر يمثل فعلا كلاميا غير مباشر خرج فيه الاستفهام عن غرضه

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية، ص485.

(2) الشعراء الآية 23.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج18، ص100.

(4) يونس الآية 76-77.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

الحقيقي إلى غرض التوبيخ والإنكار في تلفظه بجملة (أسحر هذا)، وهي حسب ابن عاشور «مستأنفة للتوبيخ و الإنكار حيث أنكر عليهم وصفهم الآيات الحق بأنها سحر» (1)

وموسى عليه السلام هنا قد استعمل الاستفهام استراتيجية حجاجية هدفها الإقناع والتأثير في المتلقين لخطابه، لما لها من القوة الحجاجية والقدرة على التأثير.

كما نجد أنه قد هيمن الفعل الكلامي الاستفهام على الحجاج الذي كان بين موسى و الخضر عليهما السلام، و نخصّ بالتحديد الاستفهام الإنكاري و الذي ورد من الطرفين، إذ تكرر الاستفهام الإنكاري من جانب موسى عليه السلام مرتين في قوله ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ

إِذَا رَكبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۗ قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۗ

فالاستفهام في قوله عليه السلام (أخرقتها) استفهام إنكاري، إذ أنكر موسى عليه السلام الأفعال التي قام بها الخضر، فوجه إليه بذلك استفهاما في إطار موقف حجاجي وحواري مقصديته في ذلك الإنكار للأفعال التي لم يقبلها، ليمثّل بذلك هذا الاستفهام فعلا كلاميا غير مباشر كما نجد الاستفهام أيضا في قوله ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ

أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ (2)، فقوله عليه السلام في

(أقتلت) يمثّل أيضا استفهام إنكاري.

(1) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج18، ص101.

(2) الكهف الآية74

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

و من جهته الخضر عليه السلام فقد أنكر على موسى عليه السلام قلة صبره وعدم تحمّله رؤية ما صدر منه - الحضرة عليه السلام - من الأفعال التي قام بها، و كان كل مرة يوجه إليه استفهاما عند حصول الإنكار منه وهذا ما يوضّحه قوله عزّوجل في سورة الكهف، قال تعالى ﴿فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦٧﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٨﴾﴾^(١) فالاستفهام في (ألم أقل لك) مقصديته اللوم و التوبيخ نتيجة عدم قدرته على الصبر و التحمل الذي كان قد وضعه الخضر عليه السلام في البداية شرطا لموسى عليه السلام كي يرافقه في سفره، و هذا الاستفهام يمثّل فعلا كلاميا غير مباشر.

4-3-الأمر:

يعرّف الأمر بأنّه «هو طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء»^(١) «و صنّفه كثير من المحدثين أنه جزء من الأفعال الكلامية التوجيهية و منهم سيرل و ليفنسون»^(٢)، فالأمر يعد من الأفعال التوجيهية التي تهدف إلى توجيه الفرد إلى سلوك أو فعل معين، و من دلالاته حسب العديد من الباحثين الاحتجاج، حيث تستعمل هذه الصيغة -الأمر- في بعض السياقات لهذا الغرض خاصة في سياق الجدل بين موقفين عن طريق بيان عاقبة الفعل، و من أمثله الواردة في حجاج موسى عليه السلام ما كان بينه و بين فرعون و ملأه، قال تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُنْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٧٧﴾﴾^(٣) ففعل الأمر (انتوني)

(1) محمد الطاهر الحمصي: مباحث في علم المعاني، ص 164 .

(2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 10، ص 253.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

الذي تَلَفَّظَ به فرعون في مقام التّحدي و المواجهة التي كانت بينه وبين موسى عليه السلام ، هو أمر حقيقي للقيام بالفعل ، إذ يمثل فعلا كلاميا مباشرا «و المَخَاطَب هنا هم ملأ فرعون و خاصّة الذين بيدهم تنفيذ أمره ، و أمر بإحضار جميع السحرة المتمكنين في علم السحر لأنهم أبصر بدقائقه»⁽¹⁾ ، ومن جهته عليه السلام أمر السحرة باللقاء ما جاؤوا يحتاجونه به على أنّه علامات دالة على قدرتهم وتمكنهم في علم السحر، من خلال تَلَفَّظَه بجملة (ألقوا ما أنتم ملقون)، ففعل الأمر (ألقوا) يمثل فعلا كلاميا له طاقته حجاجية عالية تتمثل في دلالة التحدي، و الإقرار بإظهار الحجة و قوتها و قد قال ابن عاشور «إنّما أمرهم موسى بأن يبتدئوا باللقاء سحرهم إظهارا لقوّة حجّته لأن شأن المبتدئ بالعمل المتباري فيه أن يكون أمكن في ذلك العمل من مباريه.»⁽²⁾ ، كما تكمن طاقة التَلَفَّظ بفعل الأمر (ألقوا) الحجاجية هنا أنّها تضمن حجة تقضي إلى نتيجة ؛ و هي إثبات المعجزة من خلال إبطال عمل السحرة.

الحجة ← النتيجة

ألقوا ما أنتم ملقون ← إبطال السحر إظهار المعجزة

وكانت نتائج هذه المواجهة والتّحدي ما يبرزه قوله تعالى ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿١١٨﴾ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا

بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾⁽³⁾ ، وقوله أيضا ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ

(1) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التتوير ، ج10، ص253.

(2) المصدر نفسه، ج10، ص254.

(3) الأعراف الآية 118-122.

مَا صَنَعُوا^ط إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَجِرٍ^ط وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٧٠﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ
سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧١﴾ (1)،

ثانيا: مستوى المقام:

تحدث العرب كثيرا عن المقام و عدوه مناسبة القول و ملابساته ،و دعوا إلى ضرورة مراعاته و موافقة خصائصه ، و متطلباته من أجل تأدية مرسل الرسالة لمقاصده ،التي يهدف إيصالها إلى متلقيه و التأثير في سلوكه و آرائه و قيمه، و هذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أهميته في إنجاح عملية التواصل بين طرفي الخطاب(المرسل و المرسل إليه)، ذلك أنّ كل موقف تواصل يحدد ضمن ظروف و مواقف معيّنة توجّهه و تحدد معالم سير هذه العملية التواصلية، و يصل الأمر في بعض الأحيان إلّا أنّ المقام والظروف المحيطة بعملية التواصل، قد تفرض على أطراف العملية التواصلية سلوكيات معينة أو القيام بردة فعل أو بعض ردود الفعل وفقا لما يتطلبه المقام و الظروف المحيطة بعملية التواصل تلك.

ومن الجانب الحجاجي فإن لمراعاة المقام أهمية بالغة و دور مهم في تحديد سير أحداث هذه العملية ،وفي اختيار نوع الحجج ومناسبة توجيهها أثناء عملية المواجهة بين الأطراف المتحاجة، فمراعاة المقام و مقتضى الحال أمر لا غنى عنه للمتكلم متى وجّه مقصديه للتأثير في الملتقي و إقناعه، فالتكلم يحدد اختياراته و طرائقه في الإقناع و تنظيمه للحجج وفقا لما يتطلبه المقام أثناء عملية الحجاج ، ذلك أنّ هذا الأخير -المقام- هو الذي يوجّه الحجاج صوب وجه دون الأخرى في العديد من الأحيان، لكي يحدث الإقناع و التأثير عند المرسل إليه ، فأول ما ينصبّ عليه اهتمامه هو البصر بالحجّة والتقاط المناسبة بين الحجّة و مقام

(1) طه الآية 69-70.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسد المتكلم السبيل على السامع، فلا يجد منفذاً إلى استضعاف حجه أو الخروج عن دائرة فعلها، لذلك يعمل المرسل على اختيار من الحجج التي تتناسب مع المقام و الظروف التي تحدث فيها عملية الحجاج من جهة ومن جهة أخرى فإن المرسل يدرك أن الإقناع قد لا يحصل عن طريق اللغة وحدها و إنما قد يحصل بوسائل أخرى مثل الحجج الحسية، و هذا تبعا لما يناسب تحولات المقام «وينساق - المرسل - مع مجريات الأخذ و الرد و الاعتراض و القبول و الرّفص، بما في ذلك تغيير قناعات المرسل إليه و تحولاته من موقف إلى آخر و اكتفاؤه بحجة بسيطة أو طلبه لحجة قوية» (1)

فموسى عليه السلام في حجاجه لم يدرج البراهين والحجج دفعة واحدة بل كان يقتصر على الضروري منها حسب ما يتطلبه المقام، وتقتضيه الحاجة إلى البيان والإقناع أو الرد، وترك أمر معجزاته الحسية جانبا ولم يحتج بها إلا في الوقت المناسب، إذ تدرج من الحجج القولية المجردة مستعملا في ذلك تقنية الحوار كمرحلة أولى من مراحل الدعوة إلى استعمال الحجج الحسية ضمن سلم حجاجي تصاعدي «فالتدرج في السلم الحجاجي من الاستراتيجيات المنهجية المستخدمة في الحجاج القرآني» (2) فموسى عليه السلام لما رأى عدم اقتناع المشركين من قومه و آل فرعون بالرغم من تلك الاستدلالات التي حاجهم بها في المحاجة القولية التي كانت يضمنها دلائل و حجج أثناء حوارهم من خلال الاستدلال بمختلف الآيات الموجودة في هذا الكون، و التي تجسد قدرة الله عز وجل و تثبت أحقيته بالعبادة، إلا أن تجبرهم و عنادهم صرفهم عن الإيمان و الانقياد إلى طريق الحق، فلجأ بذلك عليه السلام إلى إظهار تلك المعجزات الحسية التي خصّه بها الله عز وجل لتمثل دعامة لأقواله التي جاء بها

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 458.

(2) إدريس أوهنا: أسلوب الحوار في القرآن الكريم الموضوعات والمناهج والخصائص، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المملكة المغربية، ط1، 2005، ص 130.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

« ولا يلجأ الداعية إلى المعجزة إلا إذا تعذر عليه الوصول إلى الغاية التي يبتغيها قولاً »⁽¹⁾ فالمعجزات الحسية ضمن مقامها الحجاجي تعتبر دعامة أساسية و رافد حجاجيا هاما فهي تعين في عملية الإقناع و التأثير، ذلك أن هذه المعجزات تعمل على تثبيت الأقوال و تأكيد صدق الرسالة و قد أكد الرازي « أن النبي لا بد له من آية و معجزة بها يمتاز عن غيره، إذ لو لم يكن مختصا بهذه الآية لم يكن قبول قوله أولى من قبول قول غيره »⁽²⁾ و قد فصل القرآن الكريم في أكثر من موضع في الآيات التي خصّ بها الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام و التي تمثل رافدا مهماً لتأكيد نبوته، و دعامة لإثبات الألوهية لله عز وجل و تأكيدا على قدرته و قد كانت معجزاته عليه السلام « أقوى معجزات سائر الأنبياء، و جهل قومه كان أعظم و أفحش من جهل سائر الأقسام »⁽³⁾، و من الآيات التي وردت فيها الإشارة إلى هذه المعجزات قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١١٠﴾ ﴿١١١﴾ وَقَوْلِهِ أَيضًا: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿١١٢﴾ ﴿١١٣﴾ وَفِي قَوْلِهِ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١١٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِغَايَةِ فَاتٍ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

(1) حبيب موسى: التردد السردى في القرآن الكريم مقارنة لترددات السرد في قصة موسى عليه السلام، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010، ص 220.
(2) الرازي: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، ج 14، ص 197.
(3) المصدر نفسه: ج 14، ص 197.
(4) الإسراء الآية 101.
(5) طه الآية 56.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

﴿⁽¹⁾«و الآية هي العلامة الدالة. و سمي الله آيات لأنها دلائل على صدق موسى

لاقترانها بالتحدي»⁽²⁾

و قد كان نبي الله موسى عليه السلام يظهر هذه الآيات تبعا لمتطلبات المقام و ظروف الحجاج و مناسباته و ما يتطلبه الموقف من إظهار هذه العلامات، و قد ذكر الله عز و جل في الذكر الحكيم الآيات التي خصّ بها موسى عليه السلام والتي يمكن تقسيمها إلى محورين ،محور يخص الآيات التي وُجّهت إلى قومه، ومحور آخر يخص الآيات التي وُجّهت إلى فرعون والتي سوف يتمّ عرضها على النحو التالي :

1-الآيات التي كانت موجهة إلى قومه:

ذكر الله تعالى ما كان بين موسى عليه السلام و قومه من الحجاج، و ما أقامه الكليم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية، و ذلك عندما جحدوا قدرة الله عز و جل و لم يقتنعوا بمختلف الاستدلالات التي كان يقدمها عليه السلام أثناء حوارهم معهم، فجاءت الآيات تأكيدا على قدرة الله عز و جل و كان الكليم يوجهها حجاجيا مقصديته في ذلك الإقناع و التأثير و تغيير السلوك لينقاد قومه إلى طريق الحق و من هذه الآيات التي وجهها الله عز وجل إليهم إنزال المن و السلوى قال تعالى ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوٰى ۗ كُلُوا مِن طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ ۗ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوۡا اَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾⁽³⁾

(1) الأعراف الآية 104 - 106.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج9، ص70.

(3) البقرة الآية 57.

1-1- إنزال المن والسلوى:

فقد من الله عز و جل على قوم موسى عليه السلام بهذه الآيات و المعجزات العظيمة من إنزال المن و السلوى و الغمام وكلها علامات حجاجية موجّهة لإبراز قدرته عزوجل لتحدث بذلك المقصدية الهدف (الإيمان بالله)، «والمن هو الترنجيبين مثل الثلج من طلوع الفجر إلى لكل إنسان صاع و يبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى ،وهو السماني فيذبح الرجل ما يكفيه و تضليل الغمام حيث يسير بسيرهم ويضللهم من الشمس، و ينزل بالليل عمود نار فيسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبل» (1)

ومن العلامات الحجاجية التي وجّهت إليهم أيضا التي وردت في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ

مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾

ولقد ورد في تفسير الكشاف أنّ المقصود من (ما لم يؤت أحدا من العالمين) تلك الأمور التي العظام التي تتمثل في:

1-2- فلق البحر: ولقد ورد التفصيل في هذه العلامة في العديد من السور مثل قوله

تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٢٠﴾ (1) وقد فلق بهم البحر، حين أبى فرعون أن يرسل معه بني

(1) الزمخشري: الكشاف ، ج1، ص 272.

(2) المائدة الآية 20.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

إسرائيل وبذلك أمر الله تعالى نبيه أن يسري بهم في الليل و يذهب بهم من قبضة فرعون الذي أرسل جنوده وراءهم ، ولما تراءى الجمعان «أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يضرب لهم طريقا في البحر يبسا، فضرب البحر بعصاه، فانفلق فكان كالجبل العظيم، فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحه حتى صار يابسا كوجه الأرض» (2)

1-3- الحجر: وفي هذه العلامة دعا موسى عليه السلام الله السقاية لقومه «وقد روي أنه حجر طوري حمله معه، وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تتبع من كل وجه ثلاثة أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم» (3)

إنّ هذه العلامات الحجاجية التي كانت في مقام الحجاج بين موسى عليه السلام وقومه تعتبر رافدا مهما أثناء هذه العملية إذ عملت على حصول الإقناع والتأثير وتأكيد ما جاء به من أقوال أثناء الحجاج اللغوي.

2- الآيات الموجّهة إلى فرعون وملئه:

لقد ذكرنا في ما سبق ما كان من الحوار و المحاججة القولية بين موسى عليه السلام و فرعون و ما أظهره هذا الأخير من الإنكار و الجحود لله سبحانه و تعالى بالرغم من تلك الاستدلالات التي كان يحاججه بها الكليم في مقام الحوار، إلا أنه أبقى الإيمان و التصديق بوجود الخالق عزّ وجلّ، لتبدأ بعد ذلك المرحلة الثانية من المحاججة الفعلية بينه و بين الكليم من خلال إظهار مختلف الآيات الخارقة التي تجسد عظمة الخالق قال

(1) طه الآية 77

(2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتتوير، ج16، ص258.

(3) الزمخشري: الكشاف، ج1، ص284.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ (1) و قوله أيضا ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (2) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِعَايَةٍ فَأَتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (2)

فهذه الآيات تصوّر لنا المرحلة الثانية من عملية الحجاج بين موسى عليه السلام وفرعون الذي اشترط عرض الآيات لتكون بمثابة علامات ذات قيمة حجاجية حتى يحصل الاقتناع والتصديق، ولذلك أنجز موسى عليه السلام علامات مادية (حسية) ذات قوة حجاجية عالية تتلاءم مع مقام وظروف المناسبة الحجاجية والتي تتمثل في:

2-1- معجزة العصا:

لقد ورد التفصيل في هذه العلامة الحجاجية في العديد من سور الذكر الحكيم، قال تعالى ﴿

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (3) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (3) ﴿ولقد قام موسى عليه السلام في هذا المقام بإلقاء عصاه الموجهة

حجاجيا لابطال السحر الذي جاء به سحرة فرعون «و قال بعض المفسرون لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الأفق ثم فتحت فكها فكان ما بين فكّيها ثمانين ذرعا و ابتلعت ما ألقوا من حبالهم و عصيهم» (4)

(1) طه الآية 56.

(2) الأعراف الآية 105-106.

(3) الأعراف الآية 117-118.

(4) لرازي: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، ج9، ص213.

2-2- معجزة اليد:

و هي من العلامة الحجاجية الثانية التي خص الله عزّ وجلّ نبيه موسى عليه السلام لتكون حجة و برهانا على صحته و نبوته و تدل على إثباتها، قال تعالى ﴿وَتَزَعُ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ

بَيَضَاءُ لِلنَّظَرِينَ ﴿١٠٨﴾⁽¹⁾، وقد حدثت هذه العلامة في مقام التحدي و التعجيز لآل فرعون «

و النزع في اللغة عبارة عن إخراج الشيء من مكانه و قال إن العباس و كان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء و الأرض و لا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه»⁽²⁾

وهناك علامات أخرى أظهرها موسى عليه السلام لفرعون وقومه نظرا لما تطلبه مقام الحجاج والتحدي وما تطلبه ضرورة الأداء المرئي لهذه العلامات والتي تبرز القوة الحجاجية لموسى عليه السلام والتي ذكرها الله تعالى في سورة الأعراف والمتمثلة في المصائب التي أصاب بها فرعون وقومه وجعلها آيات لموسى ليبرز بها عظمة الخالق، «ولقد وقعت تلك الآيات بعد المعجزة الكبرى التي أظهرها الله موسى في مجمع السحرة»⁽³⁾

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّبْيِ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿⁽⁴⁾ونقص الثمرات قلة إنتاجها قلة غير معتادة وكان هذا النقص من الآيات والعذاب التي

(1) الأعراف الآية 108.

(2) الرازي: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، ج14، ص204.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج9، ص63.

(4) الأعراف الآية 130.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

وجهها عزوجل إلى فرعون وقومه نتيجة تجبرهم وجحودهم «فالسنون تتاب المزارع والحقول ونقص الثمرات ينتاب الجنات» (1)

2-3 - آيات العذاب:

و من الآيات التي وجهها عزوجل أيضا لفرعون وقومه التي وردت في قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءآيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (2)

فالطوفان و الجراد و القمل و الضفادع هي أيضا علامات حجاجية موجهة في المقام الحجاجي و ظروفه نتيجة ما ظهر من آل فرعون من عدم الإيمان و الجحود لوجود الخالق فسلط الله عليهم هذه الآيات لتكون دليلا على عظمة الخالق تبارك وتعالى، حيث طغى الماء على المنازل و المزارع، و قضى الجراد على مزارعهم « و صار عند طيرانه يغطي الشمس» (3) كما أرسل الله القمل الذي أكل النبات و كذلك الضفادع و الدم « حيث انفجرت أنهارهم دما فلم يقدروا على الماء العذب... فإذا دخل الرجل منهم النهر فإذا اغترف صار بيده دماء» (4) و كان آل فرعون كلما رأوا آية من هذه الآيات سألوا موسى رفع العذاب، فيكون لهم بعد ذلك ما دعوا إلا أنهم بالرغم من ذلك لم يؤمنوا.

هذه هي أهم الروافد التي تضمنتها خطابات موسى عليه السلام والتي كان لها الدور الواضح والفعال في أداء رسالته عليه السلام أثناء عملية الحجاج والتي عملت على إثباتها وتحقيق

(1) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج9، ص64.

(2) الأعراف الآية 133.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج9، ص226.

(4) المصدر نفسه 10، ص226.

الفصل الثاني ————— روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

الأهداف التي أرسل من أجلها وهي التوحيد وإثبات الألوهية لله عز وجل و هو الهدف الذي أرسل من أجله جميع الأنبياء عليهم السلام.

الخاتمة

لقد قامت هذه الدراسة بتسليطها الضوء على الحجاج في خطابات موسى عليه السلام وروافده المستمدة من ميادين مختلفة لغوية وأخرى غير لغوية، ونعني بذلك تنوع وتعدد الروافد الحجاجية بما تمده من تقنيات وأفانين رافدة في سبيل الإقناع والتي أبرزها المجال التطبيقي لهذا البحث الذي أفضت نتائجه إلى توضيح هذه الروافد والتقنيات التي سوف نقوم بعرضها وفقا لفصوله:

-الحجاج يرتكز على فكرتين هما: التوجيه وفيه يوجه الحجاج حسب المقام والتوظيف حيث توظف فيه سلطة القول وهو بمثابة الشرط في نجاح العملية الحجاجية الإقناعية.

-للحجاج أنواع يقوم عليها وتختلف هذه الأنواع باختلاف المقام والميدان الذي ينتمي إليه، ونوعية المخاطبين الذين يوجه إليهم الحجاج.

-يهدف الحجاج إلى إقناع الملتقي والتأثير فيه وهو خطاب موجه وممارسة فكرية للتأثير وذلك وفق روافد وتقنيات تمكننا للوصول إلى الهدف المطلوب، ولقد احتوت خطابات موسى عليه السلام العديد من هذه الروافد التي استعملها كتقنيات للحجاج والوصول إلى المقصدية المراد تحقيقها ألا وهي التأثير والتعديل في الآراء والقيم والمعتقدات ومن بين هذه الروافد نذكر مستوى اللغة والذي يتضمن:

أ- الروابط الحجاجية: وتتمثل في مختلف الروابط التي لها دور حجاجي من خلال الربط بين مختلف الوحدات الدلالية في الخطاب، ومن بين الروابط التي تضمنتها خطابات موسى عليه السلام نجد الرابط الحجاجي " الواو " وكذلك الرابط " بل " .

ب- التوكيد: وذلك باعتباره وسيلة أساسية في التأثير والاقناع من خلال استعمال أدوات مختلفة والتي برزت في خطابه عليه السلام كاستعمال أداة التأكيد "إن" .

ج- التكرار: والذي تكون حجاجيته تابعة لمقاصد المحاجج التي يريد بثها في الملتقي، وقد استعملكليم الله موسى عليه السلام التكرار الموجه بغرض التأكيد واستحضار أذهان الملتقين لخطابه التوحيدي.

5- أفعال الكلام: والتي تم توظيفها من طرف موسى عليه السلام من أمر ونداء واستفهام، وهي أفعال موجهة بغرض حجاجي تحكما مقاصد المتكلم، من أجل الالتزام بأوامره عز وجل، وقد حملت أثناء خطابه مع الأطراف التي قام بحجاجها طاقة حجاجية عالية عملت على إثراء العملية الحجاجية ودعمت عملية الاقناع والتأثير.

- كما يعد أيضا مستوى المقام رافدا مهما من روافد الحجاج الذي يعمل على تدعيم طاقة الخطاب الحجاجية، إذ أن ظروف المقام وملابساته المحيطة بالعملية الحجاجية تعد دعامة أساسية في إثراء عملية الاقناع والتأثير في متلقي الخطاب، وفي الخطاب الديني على وجه الخصوص يعد المقام رافد وركيزة أساسية في حصول هذا الاقناع والتأثير من حيث عمله على توجيه الحجاج وجهة دون الأخرى من خلال دوره في اختيار نوع الحجة

ومناسبتها وظروف إدراجها أثناء الحجاج، ولقد لعب المقام في حجاج موسى عليه السلام دورا هاما من حيث تدرّج به في عرض العلامات (المعجزات) الحجاجية الدالة على نبوته عليه السلام والمؤكدة لقدرته عزّ وجلّ وفقا لمتطلّبات المقام وظروفه.

قائمة المصادر والراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا المصادر والمراجع العربية:

- 1- أحمد أولطوف: بلاغة الخطاب الحكائي استراتيجيات الحجاج في كلية ودمنة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014.
- 2- أحمد راجح الكردي: الخطاب العقدي للكينونة الإنسانية في القرآن الكريم، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.
- 3- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستنبول، تركيا، (د ط)، (د ت).
- 4- إدريس أوهنا: أسلوب الحوا رفي القرآن الكريم بحث في الموضوعات والمناهج والخصائص، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2005.
- 5- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 6- الخطاب والحجاج مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2009.

7- الجاحظ (أبي عمر عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2، 1992.

8- جمال حضري: المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010.

9- عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابات النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.

10- جميل عبد الحميد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2000.

11- ابن الجوزي: المدهش، علق عليه وصححه مروان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

12- حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

13- الحبيب مونسي: التردد السرد في القرآن الكريم مقارنة لترددات السرد في قصة موسى عليه السلام، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 2010.

14- خلود العموش: الخطاب دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2008.

- 15- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
- 16- رشيد الرازي الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 17- الرازي (فخر الدين محمد بن عمر): التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت)، ط1، 1981.
- 18- الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمد بن محمد عمر الزمخشري الخوارزمي): تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، علق عليه: خليل مأمون شيا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2009.
- 19- أساس البلاغة، تحقيق: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998.
- 20- زينب مزارى: المناظرة في القرآن الكريم بحث في الأساليب، دار علي بن زيد للطباعة والنشر بسكرة، الجزائر، ط1، 2013.
- 21- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط1، 2009.
- 22- دراسات في الحجاج لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.

- 23-سبويه (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية للكتاب، إربد، الأردن، ط1، 2009.
- 24-سعد يوسف أبو عزيز: قصص القرآن، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 2004.
- 25-صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في "شرح التلخيص للخطيب القزويني"، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2008.
- 26-التداولية والحجاج مدخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2008.
- 27-طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط1، 2008.
- 28-عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014.
- 29-عشتار داوود: الإشارة الاجمالية في المثل القرآني، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2005.
- 30-عصام شرتح: جمالية التكرار في الشعر السوري المعاصر، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010.

- 31- علي محمد سليمان: كتاب الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجاً)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 32- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، (د ط)، 2003.
- 33- فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والدراسات والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 34- فهد ناصر عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- 35- الفيروزيادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي): القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1999.
- 36- قدور عمران: البعد الحجاجي والتداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
- 37- ابن كثير (ابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي): تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- 38- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

39-محمد أحمد خيضر: الأدوات النحوية ودلالاتها في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 2001.

40-محمد بن حمزة الكرمانى: البرهان في توجيه متشابه القرآن من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (د ب)، (د ط)، (د ت).

41-محمد حسني مغالسة: النحو الشافي الشامل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2007.

42-محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

43-محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984.

44-محمد الطاهر الحمصي: مباحث في علم المعاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، (د ب)، ط2، 1996.

45-محمد العمري: البلاغة أصولها وامتدادها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002.

46-البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، دار إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2005.

47-محمد فتاح: تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي،
الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992.

48-محمد نجيب العمامي: تحليل الخطاب السردى، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس،
ط1، 2009.

49-مرتض الزبيدي (السيد محمد مرتض الحسنى الزبيدي): تاج العروس من جواهر
القاموس، تحقيق علي شتيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د
ط)، 1994.

50-المعلم بطرس البستاني: المحيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، (د ط)،
1998.

51-نعمان بوقرة: الخطاب الأدبى ورهانات التأويل قراءة نصية تداولية حجاجية، عالم
الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.

52-المصطلحات الأساسية فى لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، دار
جدارا للكتاب العالمى للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د ط)، (د ت).

53-عبد الهادى بن ظافر الشهرى: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار
الكتاب الجديد المتحدة، بنغازى، ليبيا، ط1، 2014.

ثانيا: الكتب المترجمة:

54-باتريك شاوردو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى،
ترجمة: أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009.

55-فليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي
الغامدي، دار الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2001.

ثالثا: المجلات

56-محمد العبد: النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، ع60، مصر، 2002.

57-حمدي جودي منصور: استراتيجية الحجاج التعليمي عند البشير الابراهيمي مقال
(مقال الطلاق نموذجا)، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، ع 10 و 11،
بسكرة، الجزائر، 2012

فهرس الموضوعات

العنوان

رقم الصفحة

مقدمة

أ-ب-ج-د

مدخل: مفاهيم أولية

1- تعريف الراءف 8-6

1-1- لغة 6

2-1- اصطلاحا 8-7

2- تعريف الحجاج 15-8

1-2- لغة 10-8

2-2- اصطلاحا 15-10

3- تعريف الخطاب 18-16

1-3- لغة 16

2-3- اصطلاحا 18-16

4- علاقة الخطاب بالحجاج 20-19

الفصل الأول: الحجاج أنواعه وخصائسه

1- الفرق بين الحجاج والبرهان والجدل 25-22

1-1- الفرق بين الحجاج والبرهان 23-22

2-1- الفرق بين الحجاج والجدل 25-23

33-25	2-أركان الحجاج
28-25	2-1-خبر عن العالم
29-28	2-2-فاعل يلتزم بهذه الإشكالية
33-30	2-3-فاعل آخر يهتم بالخبر نفسه إشكالية وحقيقة
36-34	3-أنواع الحجج
35-34	3-1-الحجج المؤسسة لبنية الواقع
36	3-2-الحجج شبه منطقية
36	3-3-الحجج المؤسسة على بنية الواقع
42-36	4-أنواع الحجاج
37	4-1-الحجج التقويمي
38-37	4-2-الحجج التوجيهي
40-38	4-3-الحجج بالسلطة
41-40	4-4-الحجج بالتجهيل
41	4-5-الحجج الجماهيري
42	4-6-مغالطة المسائل المتعددة
44-43	5-العلاقات الحجاجية
43	5-1-علاقة التتابع
44-43	5-2-العلاقة السببية

44	3-5-علاقة الاقتضاء
44	4-5-علاقة الاستنتاج
46-45	6-خصائص النص الحجاجي
45	1-6-القصد المعن
45	2-6-الحوار
45	3-6-الإستدلال
45	4-6-وجاهة الخطاب الحجاجي
46	5-6-الإنسجام والتناغم
46	6-6-الحياد

الفصل الثاني: روافد الحجاج في خطابات موسى عليه السلام

81-48	أولاً: المستوى اللغوي
66-52	1-الروابط الحجاجية
64-52	1-1-الرباط الحجاجي الواو
66-65	1-2-الرباط الحجاجي بل
70-66	2-التوكيد
73-70	3-التكرار
81-73	4-أفعال الكلام
75	1-4-النداء

79-75	4-2-الاستفهام
81-79	4-3-الأمر
90-81	ثانيا: مستوى المقام
86-84	1-الآيات الموجهة إلى قومه
85	1-1-إنزال المن والسلوى
86-85	1-2-فلق البحر
86	1-3-الحجر
90-86	2-الآيات الموجهة إلى فرعون وملئه
87	2-1-معجزة العصا
89-88	2-2-معجزة اليد
90-89	2-3-آيات العذاب
93-91	الخاتمة
101-94	قائمة المصادر والمراجع
105-102	الفهرس